

د. خالد أحمد أبو شادي

دار البشير



للثقافة والعلوم

إسم الكتـــاب : رحلة البحث عن اليقين

التـــأليف : د/ خالد أبو شادى

الصف التصويرى : الندى للتجهيزات الفنية .

عـدد الصفحات : 144صفحة .

قياس الصفحة : 17 × 24

عـدد الطبـعـات : الطبعة الأولى .

التـوزيع والنشـر ❊ دار البشيـــر للثقافـــة والعلـــوم .

طنطا - 23 ش الجيش عمارة الشرق للتأمين

تليفاكس: 040/3316316 - 040/920907

Darelbasheer@hotmail.com

Dar_elbasheer@yahoo.com

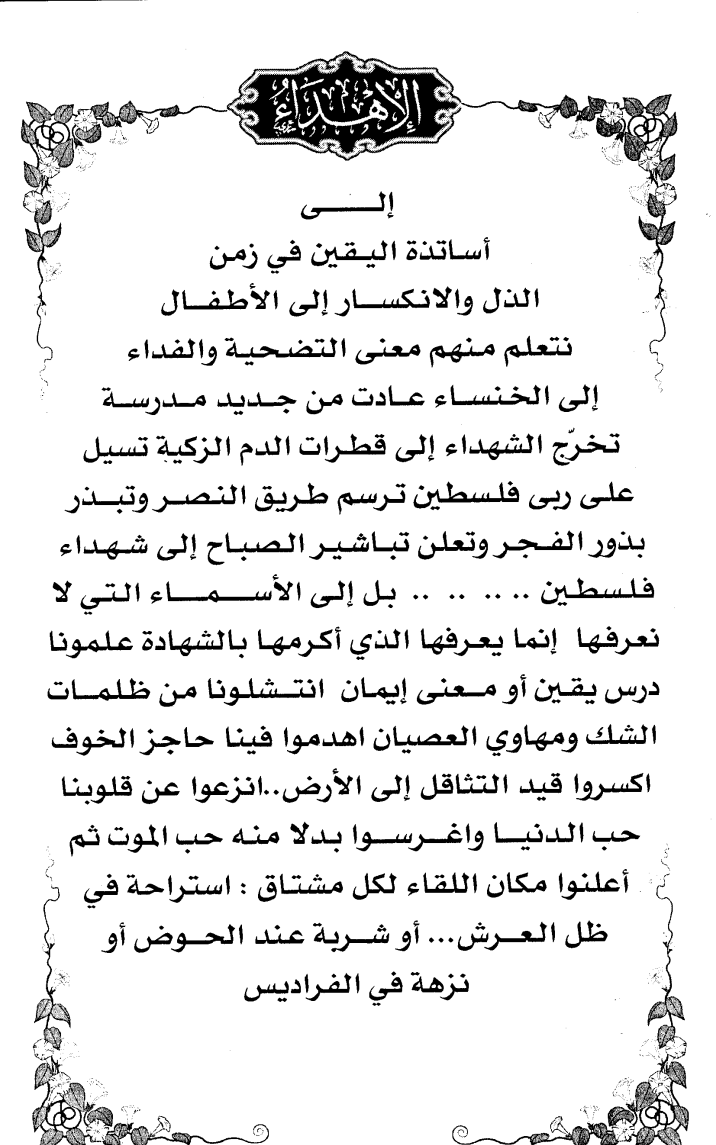
الإيداع القـانونى : 2006/23876

التـرقـيم الدولى : I . S. B. N. 977- 278 - 314- 2

1427 هـ

2007 م


بسم الله الرحمن الرحيم



الإهداء

إلـــى

أساتذة اليقين في زمن
الذل والانكسـار إلى الأطفـال
نتعلم منهم معنى التضحية والفداء
إلى الخنسـاء عـادت من جـديد مـدرسـة
تخرّج الشهداء إلى قطرات الدم الزكية تسيل
على ربى فلسطين ترسم طريق النصـر وتبـذر
بذور الفجر وتعلن تباشير الصباح إلى شهداء
فلسطين .. .. بل إلى الأسـمـاء التي لا
نعرفها إنما يعرفها الذي أكرمها بالشهادة علمونا
درس يقين أو معنى إيمان انتشلونا من ظلمات
الشك ومهاوي العصيان اهدموا فينا حاجز الخوف
اكسروا قيد التثاقل إلى الأرض..انزعوا عن قلوبنا
حب الدنيـا واغـرسـوا بدلا منه حب الموت ثم
أعلنوا مكان اللقاء لكل مشتاق : استراحة في
ظل العـرش... أو شـربة عند الحـوض أو
نزهة في الفراديس

سر البداية

كم بحثت عن السعادةْ
جاهلًا سر السيادةْ
لذة العُبَّادِ لغزٌ
ما له عندي إجابةْ
تائه عن هدي ربي
غفلتي عنوان دربي
ليست التقوى طريقي
والهوى حسبي وصحبي
للصحابة كم عجبت
من تقاهم كم دُهشتُ
بذلهم للروح شوقًا
كم لرؤياهم طمحت
نور هذا السر يبدو
يجعل الحيران يشدو
قد وجدتُ النهر عذبًا
فانهلوا منه وجدُّوا

* إنه نهر اليقين *

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 102]، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: 1]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 71،70]

أمـــا بعـــد..

فهذا الكتاب رسالة أبعث بها إلى من ظل سنوات عديدة . . يسير بلا هدف . . ويمضي على غير هدى . . لا قيمة لحياته . . . أخذت الدنيا منه كل شيء : عقله وروحه ووقته فلم تدع للآخرة شيئًا . . أخي . . لو علمت علم اليقين ، أو أبصرت غاية النعيم ، أو اطلعت على الجنة لحظة ، أو نلت من النار نظرة ، أو تقلبت في ظلمات القبر برهة لكان الحال غير الحال .

كل مولود يولد على الفطرة غرس الله فيه الشوق إلى الجنة والخوف من النار ، لكن زحف الشيطان على رصيد الفطرة الكامن وسرقته من هذا الكنز أدى إلى اهتزاز صورة الجنة في الأذهان ، وبدلاً من التصديق كان التخمين ، وتوارى البذل والإقدام ليتقدم الجبن والخذلان ، وصار الناس بما في أيدي البشر أوثق مما في يد رب البشر ، وانقلبت الدنيا حقيقة لتصبح الآخرة خيالاً ، وغدت المواعظ والآيات لا تنتزع من الناس غير كلمات الإعجاب ومصمصة الشفاه ، وأصبح وجود الحساب والجزاء عندهم مسألة فيها نظر ، هم لا ينطقون هذا بلسانهم لكن كفر جوارحهم يشهد ، وميزان سيئاتهم يشهد ، ورائحة ذنوبهم تشهد ، وقلة حسناتهم تشهد .

أخـــي ..

المنن توقظ الهمم .... والجوائز تنتظر الفائز

والله لو كُشف الحجاب عن الناس لحظة ليروا الجنة رأي العين إذًا لأفنوا أعمارهم عن عبادة الله لا يفترون وفي مرضاته يتنافسون ، ولو أشرق من ثناياها نور لقلب ليلهم

نهاراً به يقومون و بأسحاره يستغفرون ولكن ... شاءت إرادة الله أن يختبر عباده في إيمانهم بالغيب وهذا هو جوهر الإيمان.

(**اليقين**) الذي صنع وما يزال يصنع نماذج بذل وتضحية لا يصدقها عقل إذا قاسها بمقياس المادة ، لكن الأمر مع العقيدة يختلف.

(**اليقين**) الذي إن حل في القلب رأيت الفرق واضحًا بين من حازه و من حُرِم منه ، كالفارق بين الحرير الطبيعي والحرير الصناعي ، أو بين النائحة الثكلى والنائحة المستأجرة، و الفارق بين الصوت والصدى ، أو بين الأسد وصورة الأسد.

(**اليقين**) هو السر الذي سبقنا به أصحاب النبي ﷺ، فإنهم ما سبقونا بكثرة صلاة أو عبادة فحسب ، بل سبقونا بهذا الرصيد الخفي الذي لا يطلع عليه أحد إلا الذي يطلع على خفايا الصدور و مكنونات القلوب . . . إنه كنز اليقين.
لقد وهن اليقين في قلب الأمة تحت ضغط المادية الرهيب ، وصار الناس يقيسون الأمور بمقاييس المادة فحسب ، مع أن رسالتنا قائمة في الأساس على الإيمان بالغيب، فالله جل جلاله وملائكته ورسله واليوم الآخر غيب ؛ ومن لم يؤمن به ويوقن فليس له من الإيمان نصيب.

كان **مالك بن دينار** [ت :130] يقول : **" يا هؤلاء .. إن الكلب إذا طرح إليه الذهب والفضة لم يعرفهما ، وإذا طرح إليه العظم أكبَّ عليه ، كذلك سفهاؤكم لا يعرفون الحق "** (1).

آه من إنسان ضيَّع أوراق هويته ، وتاه عما خلق له ، وُعِد بالجنة فنام ، ورضي من الدين بالكلام ، أخي . . . . متى تنتبه من نومتك ؟ متى تستيقظ من غفلتك ؟ متى تفيق من سكرتك ؟ متى تعمل لمصرعك ؟إن كان كل الكدح للدنيا فما الذي بقي للآخرة ؟!

أخـي . . . لو تجرعت كأس يقين لذهبت وساوسك ، ولو أشرقت شمس الجنة على قلبك لانقشعت عنه سحب الهوى ، ولو عاش إيمانك لمات شيطانك.

ساعدني بالله عليك . . أعني على نفسك . . أريد أن آخذ بيدك ، وأنقذك من براثن عدوك ، وأنزع عنك وساوسه ، سأحرقها بإذن الله ولن تثبت أمام آيات الرحمن و أحاديث النبي العدنان ، سأرسل كلمات وعظي صواعق تحرق خداعه ونارًا تدمر شباكه ، ولن أكتفي بذلك فحسب بل . . سأغزوه في عقر داره حتى لا يجرؤ بعدها على مبارزتك.

---

(1) حلية الأولياء 2/ 360 .

الطريق قد وضح ، والحق قد لاح ، والداعي قد أسمع ، فما التحير بعد كل هذا إلا من العمى .

فخذ بعلمي وإن قصَّرتُ في عملي ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري

هدف هذا الكتاب أن يصنع الموقن على عين الله ورعايته لتكون أبرز ملامحه أن الدنيا سجنه ، والخلوة مجلسه ، والاعتبار فكرته ، والقرآن حديثه ، والله أنيسه ، والذكر رفيقه، والزهد قرينه ، والحزن شأنه ، والحياء شعاره ، والجوع إدامه ، والحكمة كلامه ، والتقوى زاده ، والصمت غنيمته ، والصبر معتمده ، والتوكل حسبه ، والعبادة حرفته ، والجنة منتهاه .

وقبل أن أتركك مع صفحات الكتاب .. لي عندك شرط وضريبة :

• شـــرط :

لابد من تنفيذه حتى تنتفع بما تقرأ وهي وصية **ابن السماك** [ت : 83] الذي أرشدك :

" اعلم أن للموعظة غطاء وكشفاً ، غطاؤها التفكر ، ولَحَاجتك إلى العظة أكبر من حاجتك إلى الصِّلة ، وأخاف أن لا تجد لها موضعا في عقلك مع ما فيه من هموم الدنيا "(1) .

ففرِّغ قلبك من هموم الدنيا أولاً ، ثم ابدأ القراءة ثانيًا ، لتجني ثماره ثالثًا ، وهو ما قرَّره **ابن عطاء** [ت : 709] سلفًا في إحدى حكمه حين قال :

" ربما وردت عليك الأنوار ؛ فوجدت القلب محشواً بصور الآثار ، فارتحلت من حيث نزلت " .

فانظر قبل البدء .. ماذا حشوت قلبك يا أخي ؟!

• ضـريبـة :

قراءتك لهذا الكتاب توجب عليك ضريبة لابد لك من دفعها كما جاء قانون **أحمد بن حنبل** [ت : 241] الذي ينص على أن (**سبيل العلم مثل سبيل المال ، إن المال إذا زاد زادت زكاته**) (2) .

---

(1) حلية الأولياء 208/8 . أبو نعيم الأصفهاني . ط دار الكتب العلمية .
(2) الآداب الشرعية والمنح المرعية 142/2 . ابن مفلح . ط دار الكتب العلمية .



فزكاة العلم تبليغه وتوصيله للناس ، حتى يهتدي بك من حولك وتنال أجر من سمعك .

هذا الكتاب جرعة إيمانية باردة تروي عطش الظامئين المشتكين من يبوسة القلب وامتصاص حيويته تحت وقع المادية الطاغي ، أو هو وجبة روحانية مشبعة ، وهل يعمل الجائع حتى يشبع؟!

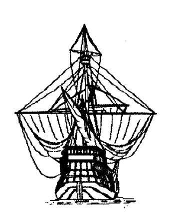
وأؤكِّد لك أن روحك ستشبع مع آخر صفحة من صفحات الكتاب ، بل ربما قبلها بحسب حالة قلبك ، لكن بعد الشبع يأتي العمل ، وقد كان لك عذر فيما مضى أنك ما عرفت ولا من الغيب اغترفت ، أما وإذْ شبعت مع هذا الكتاب فلن يعود لديك عذر ، وليس سوى ساحات البذل تنتظرك .

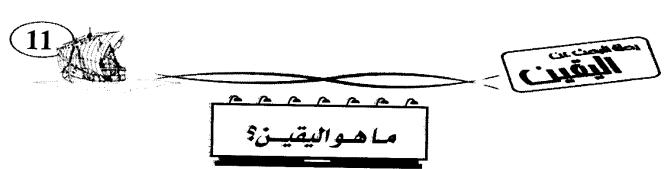
هذه الورقات سياحة في ميدان الغيب ، ومحاولة متواضعة لاستشراف أسراره، لذا فقراءتها تزيد الإيمان ، وتكرار قراءتها ترسِّخ في النفس معانيها ، واللجوء إليها عند اضطراب القلب وتسلل الريب والشك إليه من أعظم الدواء .

اللهم ....إنا نستغفرك من كل ما زلَّت به القدم ، أو طغى به القلم ، ونستغفرك من أقوالنا التي لا توافق أفعالنا ، ونستغفرك من كل ما ادعيناه من العلم بدينك مع التقصير فيه، ونستغفرك من كل خطرة دعتنا إلى تصنع وتزيُّن ، في كتاب سطرناه أو كلام نظمناه ، أو علم أفدناه ؛ اللهم اجعلنا بما علمناه عاملين ، ولوجهك به مريدين، ولا تجعله وبالاً علينا ، وضعه في ميزان الصالحات إذا رُدَّت إليك أعمالنا يا أكرم الأكرمين .

الفقير إلى عفو ربه

د. خالد أحمد أبو شادي





ما هو اليقين؟

إن مما عمَّ وانتشر اليوم حتى تسلل إلى أذهاننا وطرق تفكيرنا : الكيفيات ، فكثيراً ما نقرأ كتبًا ومقالات تتحدَّث عن : كيف تفعل كذا وكيف تصل إلى كذا وكيف وكيف ، وذلك قبل تحديد معني الهدف الذي نريد أن نصل إليه ، ولذا تأتي النتائج خاطئة وغير متوقعة ، ولا تُرضي أصحابها ، من هنا فلابد من البداية أن نعرف معنى ومفهوم اليقين حتى يصح طريقنا وتتحدَّد وجهتنا في ضوء هذه المعرفة ، فما هو اليقين؟!

قال الجرجاني:

" **اليقين في اللغة** : العلم الذي لا شك معه .

وفي الاصطلاح : اعتقاد الشيء بأنه كذا ، مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا ، مطابقا للواقع، غير ممكن الزوال ، والقيد الأول جنس يشتمل على الظن أيضا ، والثاني يخرج الظن ، والثالث يخرج الجهل ، والرابع يُخرِج اعتقاد المُقلِّد المصيب .

وعند أهل الحقيقة : رؤية العيان بقوة الإيمان لا بالحجة والبرهان .

وقيل : مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب ، وملاحظة الأسرار بمحافظة الأفكار .

وقيل : هو طمأنينة القلب على حقيقة الشيء ؛ يُقال يَقِنَ الماء في الحوض إذا استقر فيه .

وقيل : اليقين رؤية العيان .

وقيل : تحقيق التصديق بالغيب بإزالة كل شك وريب .

وقيل : اليقين نقيض الشك .

وقيل : اليقين رؤية العيان بنور الإيمان .

وقيل : اليقين ارتفاع الريب في مشهد الغيب .

وقيل : اليقين العلم الحاصل بعد الشك "[1] .

وقال صاحب المصباح المنير:

"العلم الحاصل عن نظر واستدلال ، ولهذا لا يُسمى علم الله (يَقِيناً) ، و(يَقِنَ) الأمر

---

(1) التعريفات 332/1 .

(يَيْقن) (يقَناً) فهو (يَقينٌ) فعيل بمعنى فاعل ، و يستعمل متعديا أيضا بنفسه وبالباء فيقال : (يَقِنْتُهُ) و(يَقِنْتُ) به ، و(أيْقَنْتُ) به ، و(تَيَقَّنْتُهُ) ، و(استَيْقَنْتُهُ) أي علمته »(1).

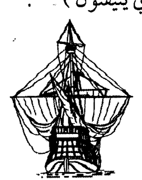
وفي لسان العرب:

« اليَقينُ : العلْم وإزاحة الشك وتحقيقُ الأمر ، واليقين نقيض الشك ، والعلم نقيضُ الجهل ، تقول علمتُه يَقيناً وفي التنزيل العزيز : ﴿**وإِنَّهُ لحقُّ الْيَقِينِ**﴾ [الحاقة: 51] ؛ أضاف الحق إلى اليقين وليس هو من إضافة الشيء إلى نفسه لأن الحق هو غير اليقين ، إنما هو خالصُه وأصَحُّه فجرى مجرى إضافة البعض إلى الكل »(2).

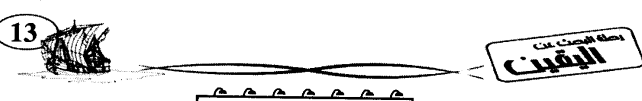
اليقين إذن نور يقذفه الله في قلب من يصطفي من خلقه حتى يشاهد به أمر آخرته ، ويخترق بقوته كل حجاب بينه وبين الغيب فيطلع على تلك الأمور كأنه يشاهدها ، فإذا أشرق نور اليقين في الصدر ذهبت الحيرة والشكوك ، وزالت المخاوف ، واطمأن القلب ، ونشطت الأعضاء للطاعة والبذل .

وعلى النقيض من اليقين : الشك والظن ، فأما الشك فهو (التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك ، وقيل الشك : ما استوى طرفاه وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب إلى أحدهما ، فإذا ترجَّح أحدهما ولم يطرح الآخر فهو ظن ، فإذا طرحه فهو غالب الظن وهو بمنزلة اليقين)(3).

وأما الظن فهو (الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ويُستعمل في اليقين والشك ، وقيل : الظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان)(4) ، (والظَّنُون : البئرُ التي لا يُدْرى أفيها ماء أم لا ، والظَّن يكون بمعنى الشَّك وبمعنى اليقين ؛ كما في قولهَ تعالى : ﴿**الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ**﴾ [البقرة: 46] أي يَتَيَقَّنُون)(5).



(1) المصباح المنير 681/2 بتصرف يسير .
(2) لسان العرب 457/1 بتصرف .
(3) التعريفات للجرجاني 168/1 .
(4) التعريفات للجرجاني 187/1 .
(5) العين 152/8 .



درجات اليقين

قال الجرجاني:

" حق اليقين عبارة عن فناء العبد في الحق ، والبقاء به علمًا وشهودًا وحالاً لا علمًا فقط ، فعلم كل عاقل الموت علم اليقين ؛ فإذا عاين الملائكة فهو عين اليقين ، فإذا ذاق الموت فهو حق اليقين ، وقيل علم اليقين : ظاهر الشريعة ، وعين اليقين : الإخلاص فيها ، وحق اليقين : المشاهدة فيها "(1).

وقد سُئل شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية عن قوله تعالى : ﴿حق اليقين﴾ و ﴿عين اليقين﴾ و ﴿علم اليقين﴾ فما معنى كل مقام منها ؟ وأيُّ مقام أعلى ؟

فأجاب:

" الحمد الله رب العالمين . للنَّاس في هذه الأسماء مقالات معروفة . . .

منها : أن يقال : « **علم اليقين** » ما علمه بالسَّماع والخبر والقياس والنَّظر .

«**عين اليقين**» ما شاهده وعاينه بالبصر .

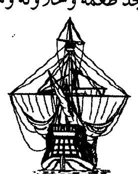
« **حق اليقين** » ما باشره ووجده وذاقه وعرفه بالاعتبار .

فالأول :- مثل من أخبر أن هناك عسلا وصدق المُخبِر .

أو رأى آثارَ العَسل فاستدل عَلى وجوده .

و الثَّاني : - مثل من رأى العسل وشاهده وعاينه ، وهذا أعلى كما قال النَّبي ﷺ : « **ليسَ المُخْبِرُ كالمعاين** .

و الثَّالث :- مثل من ذاق العَسل ووجد طعمه وحلاوته ومعلوم أن هذا أعلى مما قبله "(2).



(1) التعريفات للجرجاني 120/1.
(2) مجموع الفتاوى 645/10.

الفـصل الأول



فَضْلُ اليَقِين وَدَرَجَاته

كيف تبحث
عن كنز لا تعرف قيمته ؟!
وكيف تتجشم مشقة السير في طريق لا
تدري ما آخرها ؟! وما الذي يمنحك
القدرة على المواصلة سوى رؤية جمال
العاقبة وتلمح لذة النهاية وتلمس
حلاوة الجزاء.







فَضْلُ اليَقِين

(1) غفران الذنوب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه [ت: 58] قال: قال رسول الله ﷺ:

« أسرف رجل على نفسه فلمّا حضر الموت أوصى بنيه فقال: إذا أنا مت فاحرقوني، ثم اسحقوني ثم ذرّوني في الريح في البحر، فوالله لئن قدر عليّ ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً، قال: ففعلوا به ذلك، فقال الله للأرض: أدي ما أخذت فإذا هو قائم، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟، قال: خشيتك أو مخافتك يا رب، فغفر له ذلك » (1).

ولكن ما علاقة الخوف في هذا الحديث باليقين ؟!

اعلم أخي أن الخوف لا يكون إلا بعد اليقين، فمرد الفضل كله إلى اليقين الذي يزرع الخوف في الأفئدة، وفي آخر طريق الخوف ينتظرك غفران الذنوب على شوق ولهفة، فمن ثمرات اليقين إذن غفران الذنوب أو حبوط الذنوب كما في لغة صاحب **معاذ بن جبل** رضي الله عنه [ت: 18] الذي جاءه رجل، فقال **لمعاذ**:

أخبرني عن رجلين أحدهما مجتهد في العبادة كثير العمل قليل الذنوب إلا أنه ضعيف اليقين يعتريه الشك في أموره ؟

فقال **معاذ**: ليحبطن شكُّه أعماله.

قال: فأخبرني عن رجل قليل العمل إلا أنه قوي اليقين وهو في ذلك كثير الذنوب، فسكت **معاذ**، فقال الرجل:

والله لئن أحبط شك الأول أعمال برّه ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها. قال: فأخذ **معاذ** بيده وقام قائمًا، ثم قال: ما رأيت الذي هو أفقه من هذا (2).

(2) صلاح هذه الأمة:

قال رسول الله ﷺ:

---

(1) صحيح: رواه الشيخان وابن ماجة عن أبي هريرة كما في صحيح ابن ماجة رقم: 3451.

(2) قوت القلوب ص275: 276. أبو طالب المكي. ط دار إحياء الكتب العربية.

« **صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ، ويهلك آخرها بالبخل والأمل** » (1) .

ويبين لنا سبب هذا الصلاح واعظ دمشق **أحمد بن عاصم الأنطاكي** [ت : 227] الذي كان يسميه أصحابه جاسوس القلوب لمعرفته بأمراض القلوب وأسقامها . قال رحمه الله :

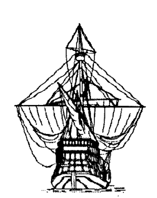
" **يسير اليقين يخرج كل شك من القلب** " (2) .

وكأن اليقين نوع من السحر تكفي لمسة واحدة منه فحسب لنسف كل آثار الشك ومظاهر ضعف الإيمان ، أو إن شئت قلت :

فيه بركة الوصية النبوية (**صلاح أول هذه الأمة** . .) التي بفضل اتباعها يحصل المراد ويتحقق المطلوب . وإذا خرج الشك من القلب تفجَّرت كل طاقات البذل ، وتحرَّرت الروح من أسر الشهوات ، وانطلقت إشارة الانطلاق لتعلن بدء السباق إلى الجنات .

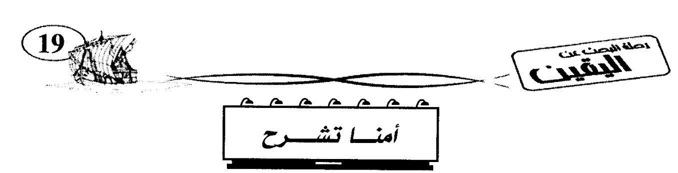
قال **سفيان الثوري** [ت : 161] : لو أنَّ اليقين استقر في القلب كما ينبغي لطار فرحا وحزنا شوقا إلى الجنة أو خوفا من النار .

والمتأمل في منهج تربية النبي ﷺ لأصحابه يرى أنه ظل طوال ثلاثة عشر عاما في مكة يبني هذا الأساس المتين المسمى : **اليقين** ، والذي بُني عليه صرح الإسلام العظيم ، فكان هو الزاد الذي بلَّغ الصحابة أروع درجات البذل والتضحية والفداء ، والذي لولا النقل الصحيح المتواتر لقلنا ذاك ضرب من خيال بل هو الشيء المحال ، هذا المنهج التربوي هو - بلا ريب - أعظم طريقة لتفجير طاقات النفس المؤمنة وتأجيج حماسها ، بل لا سبيل إلى ذلك غيره .



---

(1) حسن : رواه أحمد والطبراني في الأوسط ، وحسنه الألباني في ص ج ص رقم : 3845 .
(2) نزهة الفضلاء 955/2 .



أمنـا تشــرح

قامت أم المؤمنين **عائشة** رضي الله عنها [ت: 58] بشرح هذا المنهج في إبانة ووضوح فقالت:

" إنما نزل أول ما نزل منه (القرآن) سورة من المفصَّل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل: لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدا "[1].

فكما أنه لابد للدابة أن تُعلف حتى تعمل، و لابد للإنسان من الماء والهواء كي يظل حيا، فكذلك القلب المؤمن لابد له - كي يعيش- من جرعة يقين يتسنى له بها أن يتحرك وسط أمواج المادية الطاغية دون أن يبتل، ويواجه عواصف الشهوات العارمة دون أن يناله رذاذها، ويترك عبيره في الناس حوله دون أن يفقد عطره، فيظل ناجيا وسط الهلكى، صحيحًا بين المرضى، نبع هداية لا ينضب مهما غرف منه العطاش ونهل منه المسترشدون، وهل كان هذا إلا حال أصحاب النبي ﷺ الذين كان الواحد منهم ببركة يقينه يزن أمة، تهتز الجبال من حوله وهو ثابت، وتميد الأرض بأهلها بينا هو لا يميد، جسده في الأرض لكن روحه تسرح في الملكوت.

وفي زيادة إبانة ووضوح لمكانة اليقين في الإسلام كان الصحابي الجليل **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه [ت: 32] يقول:

" **اليقــين الإيمــان كلـــه** "[2].

وليس الصحابة وحدهم من حفَّزوك ورغَّبوك في حيازة كنز اليقين، بل شاركهم في ذلك زين التابعين وسليل بيت النبوة **الحسن البصري** [ت: 110] الذي قال:

" **باليقين طلبت الجنة، وباليقين هُربت من النار، وباليقين أُديت الفرائض على أكمل وجه، وباليقين أصبر على الحق** "[3].

(3) عينان في القلب:

قال شيخ أهل الشام **خالد بن معدان** [ت: 105]:

---

(1) صحيح: رواه البخاري عن يوسف بن ماهك رقم: 4609.
(2) فتح الباري 48/1.
(3) نزهة الفضلاء 552/2.



" ما من آدمي إلاَّ وله أربع أعين : عينان في رأسه يبصر بهما أمر الدنيا ، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة ، فإذا أراد الله بعبده خيراً فتح عينيه اللتين في قلبه فأبصر بهما ما وعد بالغيب ، فآمن الغيب بالغيب " .

أين عينا قلبك ؟ آه لو كان في قلبك قنطار يقين . . مثقال يقين . . ذرة يقين . . لبلغت مقام الصالحين ولزاحمت في الجنة المتقين ولما شغلتك دنيا عن آخرة ، ولما ألهتك غانية عن جارية ، لأن عينا قلبك مفتوحتان ليس فيهما عمش أو قصر نظر .

* عينا رأسك تُريانك المال الحرام نعيمًا و ترفًا ، لكن عيني قلبك تُريانك إياه جمرة من نار تحرق بها نفسك .

* عينا رأسك تُريانك الخلوة غيابًا عن الرقيب وفرصة للانفكاك من عيون البشر ، لكن عيني قلبك تُريانك الله عليك شهيدًا و لأعمالك رقيبًا فلا فارق عندك بين سر وجهر أو باطن وظاهر .

* عينا رأسك تُريانك الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الهلاك ، وإراقة للدم في غير فائدة ، وفراقًا للأهل والزوجة والأبناء دون مقابل ، لكن عيني قلبك تُريانك الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام وسبيل سكنى الفراديس ومهر الحور العين .

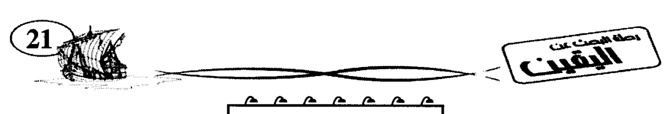
* عينا رأسك تُريانك الفقر مفسدة وقلة المال تهلكة وشظف العيش غضبًا من الله، لكن عيني قلبك تُريانك إياه اختبار رضا وصيانة لك من مال لا تؤدي حقه ولونًا من ألوان الجهاد .

* عينا رأسك تُريانك الدنيا هي العليا والآخرة هي السفلى ، لكن عيني قلبك تُريانك الدنيا ممرًا لا مقرًا ، وسرابًا لا حقيقة ، ومزرعة تبذر فيها بذور خير تحصدها ثمارًا تتدلى من شجر الجنة إن شاء الله .

موجز القول : اليقين هو العين الثاقبة التي تريك الأعمال على حقيقتها ، فما كان لك في الآخرة أمضيته ، وما كان عليك في الآخرة أعرضتَ عنه وطرحته ، كم من عين مبصرة وبصيرتها عمياء ، وقلب ينبض ولا روح فيه ، وأناس يمشون على الأرض وهممهم في القبور منذ زمن .

ما أصدق قول الشاعر يصف الموقن بقوله :

متيقِّظ العزمات مذ نهضَتْ به	**عزماته نحو العـــلا لـم يقعدِ**
ويكاد من نـور البصيرة أن يرى	**في يومه فعل العواقب في غـدِ**



بصائر ثاقبة

* بصيرة **خالد بن الوليد** رضي الله عنه [ت : 21] وقد صاغه الإيمان خلقًا آخر فإذا آماله وطموحاته آمال ملَك لا آمال بشر . قال رحمه الله :

" ما من ليلة يُهدى إليَّ فيها عروس أنا لها محب أحبُّ إليَّ من ليلة شديدة البرد كثيرة الجليد في سرية أصبِّح فيها العدو "(1) .

* بصيرة **سعيد بن عامر** رضي الله عنه [ت : 19] وقد عاتبته امرأته يومًا في تصدقه بماله كله قائلة له : إن لأهلك عليك حقا ، وإن لأصهارك عليك حقا ، فيجيبها وقد رضع من اليقين رضعات مشبعات فشَب عليه وبلغ أشده :

" على رسلك !! إنه كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب ما أحب أني صُددتُ عنهم وأن لي الدنيا وما فيها ، ولو أن لي خيِّرة من خيِّرات الحسان اطلعت من السماء لأضاءت لأهل الأرض ، ولقهَرَ ضوء وجهها الشمس والقمر ، ولنصيفها خير من الدنيا و ما فيها ، فلأنت أحرى في نفسي أن أدعك لهن من أن أدعهن لك "(2) .

* بصيرة **أبي عبد الله الصنابحي عبد الرحمن بن عسيلة** [ت : 80] وقد رفع اليقين عنه الحجُب التي تستر الغيب ، فإذا الغيب مُتجلٍّ أمام عينيه . قال صاحبه **عبادة**:

" من أحب أن ينظر إلى رجل كأنما عُرِج به إلى أهل السماء فنظر إلى أهل الجنة وأهل النار ، فرجع و هو يعمل على ما يرى فلينظَر إلى هذا "(3) .

* بصيرة **أبي مسلم الخولاني** [ت : 62] وقد غلب يقينه بثواب صبره ألمه بفقد ولده ، فصار يحب موت الولد وفقد الأحبة !! قال رحمه الله :

" لأن يولد لي ولد يحسن الله بناءه حتى إذا استوى على شبابه وكان أعجب ما يكون إليّ قَبَضَه مني ؛ أحب إليَّ من أن يكون لي الدنيا وما فيها "(4) .

(4) وقاية من عذاب القبر:

عن **أبي هريرة** رضي الله عنه [ت : 58] عن النبي ﷺ قال :

---

(1) سير أعلام النبلاء 375/1 .

(2) حياة الصحابة 487/3 . الكاندهلوي . ط دار القلم .

(3) حلية الأولياء 129/5 .

(4) السابق 127/2 .



« إن الميت يصير إلى القبر، فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع ولا مشعوف [1] ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول: كنت في الإسلام، فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه، فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول: ما ينبغي لأحد أن يرى الله، فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضا، فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله، ثم يفرج له قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك، ويقال له: على (اليقين) كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله، ويجلس الرجل السوء في قبره فزعا مشعوفا، فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري، فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلته، فيفرج له قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: انظر إلى ما صرف الله عنك، ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضا، فيقال له: هذا مقعدك..على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى » [2].

أخي . . هل عرفت الآن قدر اليقين ؟! من أيِّ الزادين اغترفت ؟! من أيِّ البضاعتين اشتريت؟! من الشك أم من اليقين ؟! أنت الذي بيدك وحدك أن تشتري والسوق حاضرة والثمن موجود وصاحب السلعة يرغِّبك فيها، فهل أنزلت اليقين في قلبك قدره الذي يستحق؟! هل بحثت عنه ودرست كيف تصل إليه؟! اليقين . . حارسك في قبرك . . . ينافح عنك ملائكة العذاب ، ويصرف عنك ألوان العقاب ، هو زادك في الحفرة المظلمة ، وكنزك في سوق الآخرة . . والآن . . بكم من رصيد اليقين ستنزل القبر ؟!

ولذا تُنادى النفس الموقنة بهذا الوصف قبل نزولها قبرها ومعاينتها الحساب ، وذلك عند الاحتضار ونزع الروح : ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾ [الفجر : 27-30] .

قال **الحسن** : " هي المؤمنة الموقنة " [3]، وهو قول **قتادة** [ت : 110] كما حكاه عنه **ابن الجوزي** في زاد المسير [4] ، وقول **مجاهد** كذلك فيها : " هي التي أيقنت وضَرَبتْ لذلك جأشًا " ؛ أي اطمأنت إلى اليقين [5] .

---

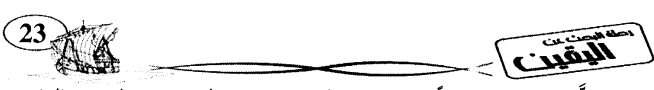
(1) قال السيوطي : الشعف هو شدة الفزع حتى يذهب بالقلب .

(2) صحيح : صحيح ابن ماجة رقم : 3462 والمشكاة رقم : 138 .

(3) فتح القدير 625/5 .

(4) زاد المسير 123/9 .

(5) غريب الحديث لابن الجوزي 156/1 .



ويتحوَّل يقينها عندئذ كشفًا وشهادة ، وذلك بعد ارتفاع الحجب عند الموت . قال **ابن زيد** [ت : 182] في النفس المطمئنة : " المطمئنة بربها ، بُشِّرت بالجنة عند الموت وعند البعث "[1] .

إن قصة اليقين بدأت منذ النطق بالشهادة ، ومن ساعتها ظهر فضله ودوره في دخول الجنة ، وهذا هو السر الذي أفشاه لنا **معاذ بن جبل** رضي الله عنه [ت : 18] عند الموت ، حيث قال **جابر** رضي الله عنه [ت : 94] : « أنا ممن حضر **معاذا** رضي الله عنه عند موته ، قال : ارفعوا عني سجف القبة – طرف القبة ليخاطب الناس – ارفعوا عني أحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ما منعني أن أحدثكم به إلا أن تتكلوا ، سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« من شهد أن لا إله إلا الله موقنًا بها من قلبه دخل الجنة » [2] .

وفي حديث **أبي هريرة** [ت : 58] : **« اذهب بنعليَّ هاتين، فمن لقيت من وراء الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشِّره بالجنة»** [3] .

(5) سرعة التلبية :

قال الله تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا** ﴾ [النساء : 66] .

قال القرطبي [ت : 671] :

" ولو : حرف يدل على امتناع الشيء لامتناع غيره ، فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه لم يكتب علينا ذلك رفقا بنا لئلا تظهر معصيتنا ، فكم من أمر قصَّرنا عنه مع خفته فكيف بهذا الأمر مع ثقله ؟! " [4] .

ولقد فاخرت يهود بهذا على عهد النبي ﷺ فقال قائلهم : والله لقد كُتب علينا أن نقتل أنفسنا فقتلنا ، وبلغت القتلى سبعين ألفا ، فدمغه **زيد بن ثابت** رضي الله عنه [ت : 45] بقوله :

" والله لو كتب الله علينا أن اقتلوا أنفسكم لفعلنا " [5] .

وليس **زيد** رضي الله عنه وحده هو من جدَّد عهد اليقين مع الله بل كذلك **عمار بن ياسر** رضي الله عنه

---

(1) فتح القدير 625/5 .
(2) الصحيحة رقم : 2355 .
(3) رواه مسلم عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم : 857 .
(4) ، (5) تفسير القرطبي ص1840 .

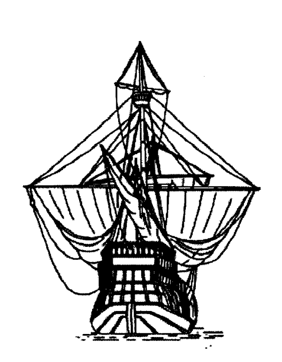


[ت : 32] الذي كان يسير يوماً على شاطيء الفرات فقال :

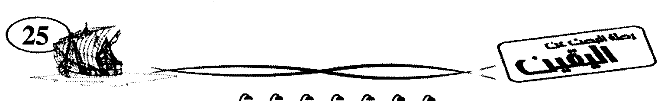
" اللهم لو أعلم أنّ أرضى لك عني أن أتردى فأسقط لفعلت ، ولو أعلم أن أرضى لك عني أن أوقد نارًا فأقع فيها لفعلت ، اللهم ولو أعلم أن أرضى لك عني أن ألقي نفسي في هذا الماء فأغرق فيه لفعلت "(1) .

ولو قيل طأ في النار أعلم أنه — رضا لك أو مُدنٍ من وصالك

لقدّمتُ رجلي نحوها فوطأتها — سروراً لأني قد خطرت ببالك



(1) الزهد ص220 . أحمد بن حنبل . ط دار الريان .



ارتباط اليقين بالعمل

وكل يقين ليس معه عمل ليس بيقين ولا شبه يقين ، فليس شيء أدل على شيء من العمل على اليقين ، ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل : 3] ، فاليقين بالآخرة يعني المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إلى الأعمال الصالحة ، وإنما ذكر اليقين في سياق إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، ليُعلَم أنه علم وعمل ، فهم وسعي ، نظرية وتطبيق .

قال **الإمام الشوكاني** [ت : 18] في تفسير هذه الآية :

" ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [النمل : 3] في محل نصب على الحال ، وكرَّر الضمير للدلالة على الحصر ؛ أي لا يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح ، وجعل الخبر مرفوعًا للدلالة على التجدد في كل وقت وعدم الانقطاع "[1] .

(6) تربية الأنبياء :

حيث ربَّى الله على اليقين أنبياءه ورسله ، وما من نبي إلا وقد أراه الله ما نزع به من قلبه آخر ذرة شك ، ليكون كل منهم في النهاية نبع يقين يروي أمته التي أرسل إليها ، ونكتفي هنا بذكر نبيين اثنين من أولي العزم من الرسل :

الأول : إبراهيم عليه السلام . قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : 260] .

قال القاضي عياض [ت : 544] :

" لم يشك إبراهيم بأن الله يحيي الموتى ، ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء فحصل له العلم الأول بوقوعه ، وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته ويحتمل أنه سأل زيادة اليقين وإن لم يكن في الأول شك ، لأن العلوم قد تتفاوت في قوتها ، فأراد الترقي من علم اليقين إلى عين اليقين والله أعلم "[2] .

---

(1) فتح القدير 179/4 .
(2) فتح الباري 413/6 .

ونفس المعنى يؤكده سهل بن عبد الله التستري [ت: 283] فيقول: " سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا " (1).

ومن عجب أن رسولنا ﷺ قال:

« **نحن أحقّ بالشك من إبراهيم إذ قال**: ﴿**رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾ [البقرة: 260] » (2).

اختلف العلماء في معنى « **نحن أحق بالشك من إبراهيم** » على أقوال كثيرة أحسنها أصحها ما قاله الإمام أبو إبراهيم **المزني** [ت: 264] صاحب **الشافعي** [ت: 204]:

" معناه أن الشك مستحيل في حق إبراهيم فإن الشك في إحياء الموتى لو كان متطرقًا إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به من إبراهيم، وقد علمتم أني لم أشك **فاعلموا أن إبراهيم** عليه السلام لم يشك " (3).

وموقف آخر يغرس الله به نور اليقين في قلب نبيه إبراهيم، **فإبراهيم** عليه السلام **كان مؤمنا**، وعلامة إيمانه أنه صدع بالحق ودعا إليه: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ [الأنعام: 74]، لكن الله أراد له أن يرتقي به من درجة إلى درجة أعلى، ومن حال إلى حال أسمى بأن يكون من الموقنين، ولهذا قال سبحانه: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**﴾ [الأنعام: 75].

واليقين درجة أعلى من الإيمان، ومرتبة عظمى لا يصل إليها الكثيرون، وقد جعل الله سبحانه وسيلة اكتسابه أن يُري **إبراهيم** ملكوت السماوات والأرض، حتى إذا أيقن بعد أن رأى عظمة الخلق وتأمل فيها، جزم جزمًا قاطعًا أن قومه على ضلالة وتبرأ منهم، وبهذا فحسب آتاه الله حجته عليهم، ورفع درجته بين خلقه. ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ**﴾ [الأنعام: 83].

وأثمرت هذه التربية الربانية أعلى درجات الامتثال والتلبية، **وقد ظهر ذلك جليا** عندما أمر الله **إبراهيم** عليه السلام بذبح ولده، ولقد كان **إسماعيل** الابن الوحيد **لإبراهيم ولم** يُرزَق به إلا على كبَر، فما ظنك بتعلق أب كهذا بابنه؟! ولم يأت الأمر صريحًا عن طريق **جبريل** عليه السلام، ولكن جاء برؤيا منام: ﴿**إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ**﴾ [الصافات: 102]، **نعم**

---

(1) شرح النووي على صحيح مسلم 148/2.

(2) صحيح: رواه الشيخان و أحمد وابن ماجة عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم: 6750.

(3) شرح النووي على صحيح مسلم 183/2.

. . مجرد رؤيا ، ومع ذلك لم يتأول الأمر ويقل : لعلها من الشيطان ، أو فلأنم هذه الليلة فإن تكررت الرؤيا فعلت ما أمرتُ به ، ولكن اليقين جعله يمتثل الأمر على الفور ، ولأن الابن ينتسب لأبيه ويقلِّد صنيعَه ، فقد أجاب **إسماعيل** الدعوة إلى قتله وهو المذبوح : ﴿**يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ**﴾ [الصافات: 102].

وفي هذا إشارة إلى أن كل عطية من المولى لابد لها من استحقاقات وتبعات ، ولذا لما منح الله أنبياءه شرف النبوة جعلهم أكثر الناس بلاء ، ولما أكرم أمهات المؤمنين برفقة نبيه ضاعف لهم في المقابل -إن هن أذنبن- العذاب ضعفين ، ولما رزق عباده مضاعفة الأجر في مكة والمدينة ضاعف كذلك الذنوب هناك ، والأمثلة على هذا كثيرة .

ولتُصنع على عيني

الثاني: وكما ربى الله **إبراهيم** عليه السلام ربَّى **موسى** عليه السلام ، وعلى فترات متباعدة ، وبحكمة ربانية متناهية ، وعن طريق موقف من بعد موقف ، ليكون اكتمال اليقين مع انتهاء الدروس الثلاثة ، فماذا كانت هذه الدروس؟!

* **الدرس الأول** : ألقى موسى العصا فانقلبت ثعبانا، فخاف ، نعم خاف موسى . . خاف وهو النبي الموحى إليه من ربه ، فأتاه النداء العلوي : ﴿ **قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ**﴾ [طه: من الآية21] . . يا موسى : ثق في موعود الله . . كن مع مراد الله . . أمسك الثعبان . . من رأسه . . نعم . . أمسكه من رأسه . . لا تضطرب . . إياك أن ترتاب لحظة . . اقهر خوفك . . اهزم شكَّك . . أطع ربك . . أغظ شيطانك ، فلما لبى موسى نداء الله وأمسك الثعبان انقلب مرة أخرى في يديه خشبة!!

* **الدرس الثاني** : وقت مواجهة السحرة أمام فرعون . . رأى موسى الأفاعي من حوله فخُيِّل إليه من سحرهم أنها تسعى . . فخاف مرة أخرى . . أهاله تجمع الأعداء . . أفزعته حشود الكفر . . وتسرَّب الخوف إلى قلبه . . لم يكتمل صنعه على عين الله بعد . . فجاءه الصوت الإلهي الرهيب : ﴿**لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ**﴾ [طه: 68] لتسري هذه الكلمات اطمئنانًا يجري في العروق ويقينا يغمر القلب.

فقلت للقلب لما خاف مضطربا — وخانني الصبر والتفريط والجلد

دعها سماوية تجري على قــدر — لا تعترضها بأمر منك تنفســد

فحفَّنــي بخفي اللطف خالقنا — نعم الوكيل ونعم العون والمدد

* **الدرس الثالث** : ثم جاءت اللحظة التي سيظهر فيها نتاج التربية الربانية وغرس العناية الإلهية . . . فالبحر من أمامه وفرعون وجنوده من خلفه . . اضطرب أصحابه لكنه ازداد هدوءًا . . فزعوا لكنه ابتسم . . اهتزوا لكنه ثبت . . صرخوا فزعين : ﴿ **إِنَّا لَمُدْرَكُونَ** ﴾ [الشعراء : من الآية 62] فانبرى الآن بعد أن اكتمل صنعه على عين ربه وتمت صياغته وفق مراد الله قائلاً في يقين : ﴿ **قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾ [الشعراء : 62] يقولها وملء قلبه الثقة بربه واليقين بعونه والتأكد من نجاته . . نعم هو لا يدري كيف ستكون النجاة لكنها كائنة لا محالة .

لا تدبِّر لك أمرا فأولوا التدبير هلكى
سلِّم الأمر تجدنا نحن أولى بك منكا(1)

(7) أعجب الخلق إيمانا

عن **عبد الله بن عمرو بن العاص** رضي الله عنهما [ت : 65] قال : " قال رسول الله ﷺ : **أي الخلق أعجب إليكم إيمانا؟** قالوا : الملائكة . قال : **وكيف لا يؤمنون وهم عند ربهم؟** قالوا : فالنبيون . قال : **وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟** قالوا : فنحن . قال : **وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟** قالوا : فمن يا رسول الله؟ قال : **ألا إن أعجب الخلق إليَّ إيمانا لقوم يكونون من بعدكم ؛ يجدون صحفا فيها كتاب يؤمنون بما فيها** "(2).

ألا ما أجمل هذا الحديث ، وأثلج نزوله على قلوب المؤمنين ، وهم يسمعون مديح الرسول ﷺ لهم ، وتثبيته لقلوبهم التي تهب عليها زوابع الشك العاتية صباح مساء ، إنها اللمسة الحانية التي تمسح التعب عن الأجساد والأرواح ، وشهادة التقدير التي تزيل الهموم والألم ، وهل مُدح هؤلاء إلا بسبب يقينهم؟! وهل فاق إعجاب رسول الله بهم إعجابه بالملائكة والنبيين والصحابة إلا من أجل إيمانهم بالغيب وتصديقهم؟!

إن منزلة اليقين عالية عالية ، سامية غالية ، ولذا كانت أول صفة مُدح بها المؤمنون في القرآن : ﴿ **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** ﴾ [البقرة : 3] ، بل هي أصل الإيمان كما قال **ابن القيِّم** [ت : 751] :

" فالايمان قلب الاسلام ولبه ، واليقين قلب الايمان ولبه ، وكل علم وعمل لا يزيد

(1) الفجر القادم ص 24،25- للمؤلف- ط دار طيبة .
(2)حسن : حسنه الألباني في الصحيحة 7/654-657 رقم : 3215 ، وكان قد ضعفه في الضعيفة 2/102-103 رقم : 647 ، ثم تراجع عن تضعيفه فقواه .

الإيمان واليقين قوة فمدخول ، وكل إيمان لا يبعث على العمل فمدخول »[1] .

(8) دواء الشك الناجع :

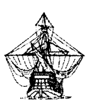
قد غدا الشك من أخطر أمراض العصر اليوم ، وقد غزا قلوب الكثيرين لخلوها من الزاد النافع ، والشيطان يدخل فوراً على الفارغ ، فكيف إذا كان القلب محشوا بزاد الأبالسة من الشهوات والشبهات؟!

وهو من أخطر أمراض القلب على الإطلاق وأشدها فتكا ، وهو يأكل القلب كما تأكل النار الحطب ، ويمزّقه تمزيقا ، ولا يزال ينهشه ، ويوقعه في براثن الكفر والعياذ بالله ، وهو بلاء عمَّ وطمَّ ، وصار يلعب بعقول ضعاف الإيمان وعطاش الروح من اليقين ، ويضيع عليهم فرصة النجاة والظفر بالجنة ، وأخطره الشك في وجود الله ، ومنه الشك في قدرة الله ، والشك في أي صفة وصف بها نفسه .

وقد مدح الله المؤمنين بأنهم لم يدخل قلوبهم شيء من الريب ولا خالطهم شك من الشكوك ، وحصر الإيمان في من لم يشك حين قال : ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**﴾ [الحجرات: 15] ، وبذا يظهر أن انتفاء الارتياب في إيمانهم أعلى رتبة من الإيمان نفسه إذ به قوام الإيمان وقيامه .

قال الشيخ **علي الطنطاوي** [ت : 1419] وهو يشرح ذلك في براعة الطبيب وحكمة المربي وخبرة العالم :

« والشبهات أخطر بنتائجها لأنها تؤدي إلى الكفر ، ولكن الشهوات أشد بطبيعتها ، إذ أن الشبان لا يستجيب منهم للشبهة إلا قليل ، أما ما يثير الغرائز ويحرّك الرغبات فيلقى الاستجابة عند الجميع ، وإن كان منهم من يصبر ويقاوم ، ويطوي جوانحه على مثل النار الآكلة ابتغاء ثواب الله وخوفا من عقابه ، الأولى كالمرض الذي يقتل ولكن عداوته بطيئة ، والوقاية منه ممكنة ، والثانية كالمرض الذي يضني وإن كان لا يُفني ، ويُضعف وإن كان لا يُميت ، والتوقي منه أصعب »[2] .



---

(1) الفوائد 85-86 .

(2) فصول إسلامية ص 95، 96 . ط دار المنارة . الطبعة الثانية . 1409 هـ 1989م .

احذر.. ثغرة!!

ولو تتبعنا آيات القرآن لوجدناها تنفي الريب عن أمور ثلاثة ، وتعيد ذلك مراراً وتكرارا ، فتارة تنفي الريب عن الكتاب : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾[البقرة : 2] ، ومرة تنفي الريب عن الساعة : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران :25] وقال : ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء :87] ، ومرة ثالثة تنفي الريب عن الأجل : ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾ [الإسراء :99] ، ولكن لماذا نفي الريب والشك في هذه الثلاثة بالذات ؟!

والجواب : أنها الثغرات التي يهاجم الشيطان منها قلب الإنسان ، فيبث فيه الشك من الحساب والجزاء ، وإذا وهن اليقين بالجزاء فقل على كل من الدنيا والآخرة السلام .

وكذلك الكتاب ؛ إذا كان الشك في وروده من عند الله وهنت صلة الناس به وتعامل الناس معه على أنه كتاب بشري ، يُقرأ أو يهجر ، يُعتنى به أو يترك حتى يسكن سطحه التراب ، وكذلك الأجل وهو فراق الدنيا ؛ إذا كان الريب منه طال أمل العبد وساء عمله واشتد ظلمه وتكرر جهله ، ولا تُسدُّ هذه الثغرات في وجه الشيطان إلا ببناء سدود اليقين المنيعة التي تمنع الدخول .

وتردد ثم مضى!!

ففي غزوة مؤتة في العام الثامن من الهجرة لما قُتل **جعفر** أخذ **عبد الله بن رواحة** الراية ، ثم تقدَّم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ويقول :

أقسمت يا نفس لتنزلنه ... لتنزلن أو لتكرهنه

إن جلب الناس وشدوا الرنة ... مالي أراك تكرهين الجنة

قد طال ما قد كنت مطمئنة ... ما أنت إلا نطفة في شنة

وقال :

يا نفس إلا تُقْتلي تموتي ... هذا حمام الموت قد صليت

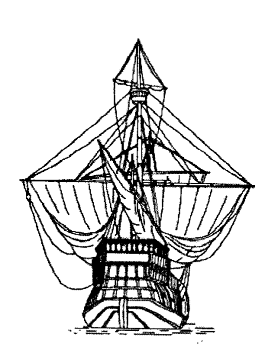
وما تمنَّيت فقد أعطيت ... إن تفعلي فعلهما هُديت

يريد صاحبيه **زيدا وجعفرا** ، ثم أخذ سيفه ثم تقدم فقاتل حتى قُتل رضي الله عنه . قال ﷺ :

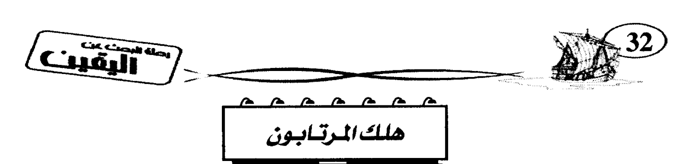


« لقد رُفعوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب ، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريري صاحبيه ، فقلت : عمَّ هذا؟! فقيل لي : مضيا وتردد عبد الله بن رواحة بعض التردد ثم مضى »[1] .

لحظة واحدة من التردد وذرة من الشك كانت كفيلة بتأخير ابن رواحة عن صاحبيه ، ولمحة من طرْف العين هوت بمنزلته ، ليحوز شهادة دون شهادة ، وفوزًا دون فوز ؛ وإن كان الجميع في النهاية من ساكني الجنة ، وهو ما يثبت أهمية اليقين وخطورة عمل القلب ، وعظيم أثره ، وكيف أن الذرة الواحدة منه ترفع مقامات وتهوي بمثلها ، ولأنها مقامات الجنة ودرجاتها ، فبين كل مقام وآخر أبعد ما بين السماء إلى الأرض .



(1) فقه السيرة 368، وقد رواه ابن إسحاق منقطعا .



هلك المرتابون

كان أبو عبد الرحمن **معاذ بن جبل** رضي الله عنه [ت : 18] لا يجلس مجلسا للذكر حين يجلس إلا قال : « **الله حكَم قسط ، هلك المرتابون** » (1)، ويكاد قوله هذا يكون تفسير قوله تعالى : ﴿**قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ**﴾ [الذاريات : 10].

أي خاب وخسر الذين لا يوقنون وهو شتم لهم وتعيير ، والخراصون هم أهل الغرة والظنون كما قال ذلك **قتادة** (2) .

قال **صاحب التحرير والتنوير :**

" والخرص : الظن الناشيء عن وجدان في النفس مستند إلى تقريب ولا يستند إلى دليل يشترك العقلاء فيه ، وهو يرادف : الحزر والتخمين ، ومنه خرص النخل والكرم أي تقدير ما فيه من الثمرة بحسب ما يجده الناظر فيما تعوده ، وإطلاق الخرص على ظنونهم الباطلة في غاية الرشاقة لأنها ظنون لا دليل عليها غير ما حسُن لظانيها " (3) .

ويشهد لهذا قول الله بعدها : ﴿ **يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ** ﴾ [الذاريات : 12] ، تشكيكًا في يوم البعث وتكذيبًا له .

ومن المعلوم أن الظن لا يجتمع مع اليقين ، ولا بد لأحدهما أن يطرد الآخر وينتصر عليه ، ولذا قال المشركون : ﴿ **إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ** ﴾ [الجاثية : 32] ومن المسلمين اليوم من يردِّد نفس الكلمة بفعاله ، وإن لم ينطقها بلسانه .

(9) شجرة فوائد ابن القيم :

أهدى لنا **ابن القيم** [ت : 751] عدة فوائد لليقين قدَّمها لنا في كتابه الرائق (**مدارج السالكين**) فقال :

" اعلم يا أخي أن اليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد ، وبه تفاضل العارفون وفيه تنافس المتنافسون ، وإليه شمَّر العاملون ، وعمَلُ القوم إنما كان عليه وإشاراتهم كلها إليه ، وإذا تزوَّج الصبر باليقين : ولد بينهما حصول الإمامة في الدين .

(1) سنن أبي داود 612/2.
(2) ابن كثير 259/4.
(3) التحرير والتنوير 1402/1.



قال الله تعالى- وبقوله يهتدي المهتدون - : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : 24] .

وخصَّ سبحانه أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين ، فقال وهو أصدق القائلين : ﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ [الذريات : 20] .

وخصَّ أهل اليقين بالهدى والفلاح من بين العالمين ، فقال : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : 4-5] .

وأخبر عن أهل النار أنهم لم يكونوا من أهل اليقين ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾

[الجاثية : 32] .

فاليقين روح أعمال القلوب التي هي روح أعمال الجوارح ، وهو حقيقة الصديقية ، وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره » [1] .

(10) أفضل الأعمال على الإطلاق :

ولهذا يقول النبي ﷺ في الحديث :

« **أفضل الأعمال عند الله : إيمان لا شك فيه ، وغزو لا غلول فيه ، وحج مبرور** »[2] .

والإيمان الذي لا شك فيه هو اليقين ، ولأنه من أعمال القلوب ، ولأنه من أفضل الأعمال ؛ لذا تفاضل الناس عند الله به أضعاف أضعاف ما تفاضلوا بغيره ، فعن أبي الدرداء **عويمر بن مالك** رضي الله عنه [ت : 32] أنه قال :

« يا حبَّذا نوم الأكياس وإفطارهم !! كيف يعيبون سهر الحمقى وصيامَهم ؟! ومثقال ذرَّة من برٍّ صاحب تقوى ويقين أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغْترين » [3] .

قال ابن القيِّم مثمِّنا كلام أبي الدرداء ومنزلاً إياه قدره ومفسحا له المجال ليزيِّن كتابه الفوائد :

« وهذا من جواهر الكلام ، وأدله على كمال فقه الصحابة ، وتقدُّمهم على من

---

(1) مَدارج السالكين 397/2 .
(2) رواه أحمد في المسند 258/2 .
(3) حلية الأولياء 211/1.

بعدهم في كل خير رضي الله عنهم ، فاعلم أن العبد إنما يقطع منازل السير إلى الله بقلبه وهمته لا ببدنه "[1].

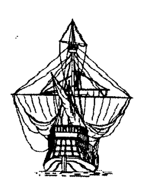
ولهذا وصفه أبو **حامد الغزالي** [ت : 505] بأعظم وصف وأنزله أسمى مكانة حين سماه : رأس مال الدين ، فأوصاك " **أن تكون شديد العناية بتقويتة ، فإن اليقين رأس مال الدين** "[2].

اليقين إحسان القلوب

إن أول ما تبدأ به أعمال القلوب جميعا وتصح هو العلم ، ولذا فإن الإمام البخاري [ت : 256] جعل ترجمة في صحيحه : « **باب العلم قبل القول والعمل وقول الله - تبارك وتعالى -** :﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ** ﴾ » [محمد : 19] .

فأول ما يطرق قلب المؤمن من معرفة الرب تبارك وتعالى والإيمان به هو العلم ، وهو أن يعلم أنه لا إله إلا الله ، وأن النار حق ، وأن الجنة حق ، وأن البعث بعد الموت حق ، وأن الرسل حق ، وأن كل ما أخبر الله تبارك وتعالى به أو أخبر به رسوله ﷺ حق .

لكن هذا العلم -كما مر بك- درجات ، منه ما يكفي للدخول في الإسلام ، فإذا زاد أوصل إلى الإيمان ، فإذا زاد قاد إلى درجة أعلى من الإيمان وهي الإحسان ، والإحسان في أعمال القلوب هو اليقين ، وفي أعمال الجوارح كما ورد في حديث **جبريل** : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، ولأنه لا انفكاك بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح ، ولأن أعمال الجوارح تتبع أعمال القلب حيث تأتمر بأمره وتنتهي بنهيه ، كان اليقين أشرف المقامات وأعلاها .



(1) الفوائد 141/1.

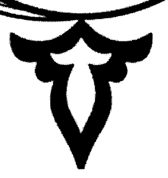
(2)إتحاف السادة المتقين 408/1 . ط دار الفكر .

الفـصل الثانى

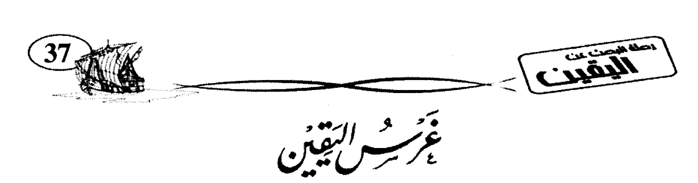


غرس اليقين

كيف غرس النبي
ﷺ اليقين في قلوب الصحابة ،
فأثمر ثمارا يانعة لا يزال عبيرها يفوح إلى
الآن ؛ بذلا وجودا ، وخشية وتضحية ، ومراقبة
واستقامة ، ونماذج لولا النقل الصحيح
المتواتر لقلنا ذاك ضرب من خيال أو
هو الشيء المحال.







غرس اليقين

عليك وأنت تقرأ هذا الباب الآن أن تقرأه بروح جديدة ، وقلب كأنه وُلد اليوم ولم يتلطَّخ بخطيئة بعد ، وخذ وصف ذلك من لسان الأستاذ **البهي الخولي** الذي حثَّك على قراءة السيرة بهذه الطريقة باستخدام قلبك قبل عينك ، وبروحك وعاطفتك مع عقلك ، وأرشدك إلى هذا الطرح الحي الذي يثمر القلب الحي فقال :

" أن تُكثر مصاحبة مولانا رسول الله ﷺ في سيرته المطهرة مصاحبة وجدانية عميقة ، تجعلك في مجلسه عليه السلام إذا جلس ، وفي ركابه إذا ركب ، وفي معيته إذا سار ، وتُسمعك قوارع وعظه ، وتُسرِّب إلى قلبك رقة مناجاته إذا ناجى ربه في جوف الليل ، أو في خلوات النهار ، وتصل عواطفك بعواطفه صلوات الله عليه ، حتى تكاد تشعر بخلجات قلبه العظيم إذا غضب ، وبشاشته وسماحته إذا تسهل لشيء وتهلل ، وتسلكك في صفوف المؤمنين به ، فأنت معهم حين يسامون العذاب، تألم كما يألمون ، وتهاجر كما يهاجرون ، تهاجر معهم بوجدانك وخيالك وعواطفك إلى الحبشة أو غيرها من بلاد الله ، فإذا شرع له الجهاد في المدينة ، فأنت تحت لوائه المظفر تشهده ممتطياً صهوة جواده ، وقد لبس لأمة الحرب ، وتقلَّد السيف ، وأخذ برمحه، فهو فارس الميدان ، وقائد الفرسان ، تزهر عيناه الشريفتان من تحت مغفره ﷺ ، فما يصعد شرفًا ولا يهبط واديًا ، ولا ينال من عدو نيلاً إلا وأنت معه عليه السلام، تكاد تضرب إذا ضرب ، وتُقدِم إذا أمر ، وتفديه بما تملك ، وتحوطه بكل ما في سويداء قلبك من حب وعاطفة "(1) .

وإلى أول هذه الدروس النبوية :

(1) أين عقلك؟

قال النبي ﷺ لأصحابه يوما :

« **أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟** » قالوا : يا رسول الله . . ما منا من أحد إلا وماله أحب إليه من مال وارثه ، فقال ﷺ : « **فإن ماله ما قدّم و مال وارثه ما أخّر** » (2) .

رسول الله ﷺ يقوم بدوره في زرع اليقين ، فيخاطب عقول أصحابه و يوقظ أفهامهم و يسألهم :

---

(1) تذكرة الدعاة ص 204 . ط مكتبة التراث .

(2) صحيح : رواه البخاري و النسائي عن ابن مسعود كما في ص ج ص رقم : 2696 .

هل منكم أحد ينتفع بماله بعد موته ؟! أو يستلذ بإنفاقه وهو في التراب ؟! أو يغدقه على أقرانه وأصحابه وهو مغطًى بالأكفان ؟! فأجابوه وأجابهم بما ينزع الشك من الصدور ويغرس اليقين في الأفئدة بدلاً منه .

قال ابن بطال [ت : 449] :

" فيه التحريض على تقديم ما يمكن تقديمه من المال في وجوه القُربة و البر لينتفع به في الآخرة ، فإن كل ما يُخلّفه المُوَرِّث يصير ملكًا للوارث ، فإن عمل فيه بطاعة الله اختُص بثواب ذلك ، وإن عمل فيه بمعصية الله فذاك أبعد لمالكه الأول من الانتفاع به إن سلم من تبعته "(1).

رحم الله أبا الفرج ابن الجوزي [ت : 597] حين قرأ الحديث السابق فقال معلقًا وشارحًا ومبينًا :

" عقاب الوارث على مرقب الانتظار !! أفهمت أم أشرح لك ؟ العقاب لا تعاني الصيد وإنما تكون على موضع عال ، فأي طائر صاد طيرًا انقضت عليه ، فإذا رآها هرب و ترك الصيد " (2).

هل تعرف معنى الكلام السابق ؟! معناه أن مالك الذي تجمع وثروتك التي تخدع إنما مصيرها في النهاية إلى الورثة : عليها يختلفون ومن أجلها يقتتلون . . تلم ليجمعوا . . وتجمع ليبددوا . . و تتعب ليرتاحوا .

ولأن زكاة العلم العمل به ، ولأن الواقدي رجل تخرَّج من مدرسة اليقين بامتياز ، فقد دفع زكاة العلم بهذا الحديث وزيادة . . . . . دفعها بذلاً وجودًا وكرمًا .

واسمع ما حدَّثك به الخطيب البغدادي [ت : 463] وأمسك بقلبك أن يطير من شدة العجب ولعينك أن تزيغ من روعة الدهشة : قال القاضي أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي [ت : 207] :

" أضقت مرة من المرار وأنا مع يحيى بن خالد البرمكي ، وحضر عيد فجاءتني جارية فقالت : قد حضر العيد وليس عندنا من النفقة شيء فمضيت إلى صديق لي من التجار فعرَّفته حاجتي إلى القرض فأخرج إليَّ كيسا مختوما فيه ألفا ومائتا درهم ، فأخذته وانصرفت إلى منزلي فما استقررت فيه حتى جاءني صديق لي هاشمي ، فشكا إليَّ تأخر

---

(1) فتح الباري 265/7 . ابن حجر العسقلاني . ط دار الريان .

(2) المدهش ص 285 . ابن الجوزي . ط دار الكتب العلمية .

غلته وحاجته إلى القرض ، فدخلت عليَّ زوجتي فأخبرتها فقالت : على أي شيء عزمت ؟ قلت : أن أقاسم الكيس . قالت : ما صنعت شيئا . أتيت رجل سوقة فأعطاك ألفا ومائتي درهم وجاءك رجل له من رسول الله ﷺ رحم ماسَّة تعطيه نصف ما أعطاك السوقة ! ما هذا شيء ... أعطه الكيس كله !!

فدفعته إليه ومضى صديقي التاجر إلى الهاشمي فسأله القرض فأخرج الهاشمي إليه الكيس ، فلما رأى خاتمه عرفه وانصرف إليَّ فأخبرني الأمر ، وجاءني رسول **يحيى بن خالد** يقول : إنما تأخر رسولي عنك لشغلي بحاجات أمير المؤمنين ، فركبت إليه فأخبرته بخبر الكيس، فقال : يا غلام هات تلك الدنانير ، فجاءه بعشرة آلاف دينار ، فقال : خذ ألفي دينار لك وألفين لصديقك وألفين للهاشمي وأربعة آلاف لزوجتك فإنها أكرمكم » [1].

والواقدي هذا يا إخوة . . كان عطاؤه في السنة ستمائة ألف دينار لم تجب عليه الزكاة يوماً ولما مات لم يجدوا عنده ثمن كفنه فبعث له الخليفة المأمون بأكفانه !!

لله دره من مؤثر للآخرة على الدنيا ، علم هو وإخوانه في نسب اليقين أن (المال إذا وصل إلى الكرام عابر سبيل ، وإكرام عابر السبيل تجهيزه للرحيل) [2] ، فانطلق هو وإخوانه ينشدون :

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا ... لكـــن يمر عليها ثـــم ينطلـــق

إنـــا إذا اجتمعت يومـــا دراهمنا ... كانت إلى سبل المعروف تستبق

وإن أشفقنا عليه بعد قراءة خبره ورقَّت قلوبنا لحاله بعد أن عرفناه ، فإن رسول الله ﷺ يطلب إلينا أن نكفَّ وننتهي في قوله :

« لو تعلمون ما ادُّخر لكم ما حزنتم على ما زُوِي عنكم » [3] .

كيف لا وقد ضرب لنا ﷺ لقدوة والمثل بعمله قبل قوله ، فكان كثيرا ما يدخل الغرفة من غرفات زوجاته لا يعرف أحد لماذا دخل ولماذا خرج ، حتى باح ﷺ بالسر يوما فقال :

« إني لألج هذه الغرفة ما ألجأها إلا خشية أن يكون فيها مال ، فأتوفى ولم أنفقه »[4] .

---

(1) تاريخ بغداد 3 / 19 ، 20 . (2) المدهش ص 286 .

(3)صحيح : رواه أحمد عن العرباض بن سارية كما في ص ج ص رقم : 5261 .

(4)حسن : رواه الطبراني في الكبير عن سمرة بن جندب ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم : 921 .

(2) ليته قطفه :

عن ابن عباس رضي الله عنه [ت : 68] في صلاة الكسوف قالوا : يا رسول الله رأيناك تناولت شيئا في مقامك ثم رأيناك تكعكعت ، فقال ﷺ : « **إني رأيت الجنة فتناولت عنقوداً ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا** » (1) .

آه . . يا ليت رسول الله ﷺ قطف هذا العنقود لتشاهده العيون فتزداد بذلك يقينا ، ولكن أنّى له ذلك وهو غيب ، ونحن ممتحنون بالإيمان بهذا الغيب ، ولن يكون الغيب شهادة إلا عندما ندخل الجنة وتظهر نتيجة الامتحان .

أيقن **الحجاج بن فرافصة** [ت : 118] فاكهة الجنة . رآه أصحابه واقفا في سوق الفاكهة فقيل له : ما تصنع هنا ؟! . قال : " أنظر إلى هذه المقطوعة الممنوعة " (2) .

مشيرا إلى ما وصف الله – عز وجل – به فاكهة الجنة في كتابه الكريم فقال : ﴿ **لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ** ﴾ [الواقعة : 33] .

لا مقطوعة : فلا تنقطع زمانا بانقطاع فواكه الشتاء في الصيف وفواكه الصيف في الشتاء ، **ولا ممنوعة** : فلا تمنع مكانا ببعد مكان أو بعلو ثمن بل إذا اشتهاها العبد دنت منه ثم دنت حتى تبلغ فاه فيأكلها .

فإن حُرم العبد فاكهة الدنيا لضيق ذات اليد فإن له أن يُصبِّر نفسه على طريقة **سلمة ابن دينار** [ت : 140] فيمر على الفاكهة ويقول مُسلّماً عليها : " **موعدك الجنة** " (3) .

يا إخوتاه : قايسوا بين الدنيا والآخرة . . . قايسوا الفناء بالخلود . . قارنوا التعب والعناء بالراحة والهناء ، ثم اختاروا ما بدا لكم . . تعلّموا من **يونس بن عبيد** [ت : 139] وقد شكا رجل إليه وجعا يجده في بطنه فقال له يونس ناصحا إياه :

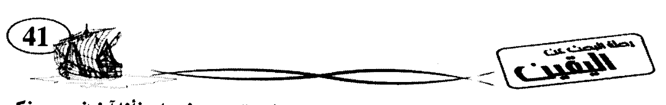
" **إن هذه دار لا توافقك فالتمس دارا توافقك** " (4) .

(3) ضرب المثل :

عن أبي هريرة رضي الله عنه [ت : 58] أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع**

---

(1) صحيح : رواه الشيخان عن ابن عباس كما في اللؤلؤ والمرجان رقم : 525 .
(2) حلية الأولياء 108/3 .
(3) حلية الأولياء 96/2 .
(4) حلية الأولياء 22/3 .



في النار يقعن فيها ، فجعل الرجل يزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها ، فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها »(1) .

قال **الإمام النووي** [ت : 676] :

" مقصود الحديث أنه ﷺ شبَّه المخالفين له بالفراش و تساقطهم في نار الآخرة بتساقط الفراش في نار الدنيا مع حرصهم على الوقوع في ذلك ومنعه إياهم ، والجامع بينهما : اتباع الهوى وضعف التمييز وحرص كل من الطائفتين على هلاك نفسه "(2) .

أي أن الغارق في لذاته ومعاصيه وصل جهله إلى درجة جهل الفراشة ، بل إن الفراشة حالها أفضل منه في رأي **أبي حامد الغزالي** [ت : 505] الذي قال :

« ولكن جهل الآدمي أشد من جهل الفراش ، لأنها باغترارها بظواهر الضوء إذا احترقت انتهى عذابها في الحال ، والآدمي يبقى في النار مدة طويلة أو أبدا »(3) .

وهذا الحديث من عجائب تمثيله ﷺ ومن علامات رحمته بأمته وإشفاقه عليها ، يا هذا . . . يا مسكين . . . يا مقتحم النار . . . يا فرحا بلذة عاقبتها جهنم . . . كيف يفلح من يسرُّه ما يضرُّه ؟! ... كيف يربح من ينفق من أصل رأس ماله ويبعثر من خزانة عمره؟! يا أخي . . ثوب حياتك منسوج من خيوط أنفاسك وأنت تنفق أنفاسك في العبث . . يا من كلما وعى لهى ، يا من كلما صحا غفا : كيف ترجو مولد الهداية في قلبك إذا كانت وعودك مع الله عقيمة وعهودك بإصلاح نفسك عاقرة ؟! كيف ترجو صعود صلاتك إلى السماء ومؤشر القلب في سفينة الجسد يشير إلى الأرض ؟!

أخي ... من جاور سوق الضجيج لم يسمع مؤذن الهدى ، ومن بال الشيطان في أذنيه فلا يشكونَّ الصمم عن سماع المواعظ ، ومن بهره وميض النار فظنه نورا ، فسوف يعرف الحق عندما تفوح منه رائحة الشواء في النار .

(4) الموعد والمكان :

واسمع تفاصيل الخبر ليوقد في قلبك الشرر شوقا إلى لقاء خير البشر في جنات نهر : عن **أنس** رضي الله عنه [ت : 92] قال : سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة . قال : **أنا فاعل إن شاء الله** . قال : فأين أطلبك ؟ قال : **أول ما تطلبني على الصراط** . قلت : **فإن لم**

---

(1) صحيح : رواه البخاري رقم : 6487 .

(2) فتح الباري 535/6 .

(3) السابق 6/ 535 .

ألقك ؟ قال : **فاطلبني عند الميزان** . قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال : « **فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطىء هذه الثلاث مواطن** »[1] .

إخوتاه . . . بلغ اليقين **بأنس** ﷺ مبلغا عظيما فأصبح عنده يوم القيامة شهادة لا غيبا وواقعا لا خيالا ، لكن بقيت المسألة التي أرَّقته طويلا : أين سيقابل الرسول ﷺ وسط هذه الجموع والأمواج المتلاطمة من البشر من لدن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة ، لذا كان همُّه بعد اليقين بحتمية اللقاء تحديد مكانه حتى لا يتوه وسط الزحام فيفقد أثر سيد الأنام ﷺ .

يا أهل اليقين . . . يا أصحاب الشفاعة . . . غداً نلتقي رسول الله ﷺ والمكان . . . حدده أنس ﷺ سلفًا فلا يتأخرنَّ منكم أحد .

(5) رأى النار بعينه :

قال النبي ﷺ : « **ليس الخبر كالمعاينة** »[2] .

وكأنه ينظر إلى الغيب من وراء ستار رقيق فيستنبط حقائق القلوب ويستخرج ودائع الغيوب ، طوى الله له الزمان طيًا فرأى أهل النار يعذبون فيها لا ليزداد يقينا ، بل لينقل لنا الخبر فنزداد نحن يقينا فقال ﷺ :

« **لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرا** »[3] .

والمؤمن الصادق يصدِّق عيني رسول الله ﷺ أكثر مما يصدِّق عينيه ، و هذا ما أخبر به **ابن القيِّم** [ت : 751] – رحمه الله– فقال راويا عن أحد السلف :

« رأيتُ الجنة والنار حقيقة . قيل له : كيف؟! قال : رأيتهما بعيني رسول الله ﷺ ورؤيته لهما بعينيه آثر عندي من رؤيتي لهما بعينيَّ ، فإن بصري قد يطغى و يزيغ بخلاف بصره ﷺ »[4] .

واقرؤوا معي خبر رؤيته للنار بعينه : عن **عديّ بن حاتم** ﷺ [ت : 68] قال : قال **النبي** ﷺ : « **اتقوا النار** » ، ثم أعرض وأشاح ثلاثا ، حتى ظننا أنه ينظر إليها ثم قال : « **اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة** »[5] .

(1) صحيح : رواه الترمذي عن أنس كما في صحيح سنن الترمذي رقم : 243 والمشكاة : 5595.
(2) صحيح : رواه الطبراني في الأوسط عن أنس كما في ص ج ص رقم : 5373.
(3) فتح الباري رقم : 6485.
(4) تهذيب مدارج السالكين ص 729 . عبد المنعم صالح العلي العزي . ط . مؤسسة الرسالة .
(5) صحيح : رواه عدي بن حاتم كما في اللؤلؤ والمرجان رقم : 597.



قال القاضي عياض [ت : 544] :

" قال العلماء : يحتمل أن رآها رؤية عين كشف الله تعالى عنها وأزال الحجب بينه وبينها كما فرج عن المسجد الأقصى حين وصفه .

وقالوا : ويحتمل أن يكون رؤية علم وعرض وحس بإطلاعه وتعريفه من أمورها تفصيلاً ما لم يعرفه قبل ذلك ، ومن عظيم شأنها ما زاده علما بأمرهما وخشية وتحذير ودوام ذكر .

والتأويل الأول أولى وأشبه بألفاظ الحديث لما فيه من الأمور الدالة على رؤية العين ، كتناوله من العنقود وتأخره مخافة أن يصيبه لفح النار " (1) .

يشير القاضي عياض بذلك إلى حديث النبي ﷺ الذي حوى تفاصيل أكثر وأكثر :

« وعُرضت عليَّ النار فجعلت أتأخر رهبة أن تغشاني ، ورأيت امرأة حميرية سوداء طويلة تُعذَّب في هرة لها ربطتها فلم تطعمها ولم تسقها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ، ورأيت أبا ثمامة عمرو بن مالك يجر قصبه في النار» (2) .

هذه النار ليست كنار الدنيا بل سوداء لا يضيء جمرها ولا لهبها ، أوقد عليها ألف عام حتى احمرت وألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة ، ولو أذن لنار الدنيا لتعوّذت من نار الآخرة ، لأنها جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم ، ولو أن أهل النار كانوا في نار الدنيا لناموا فيها ، هي أشد شوقا إلى أهلها من الجنة إذا أُدنيت لأهلها ، وإذا كان لا يستطيع الصبر على حر الشمس فكيف يكون صبره على حر النار ؟!

وفي ضوء ما ذكرنا وما سنذكر ، فإن لنا أن نفهم لماذا كان رسول الله ﷺ إذا خطب وذكر الساعة احمرَّت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول : صبَّحكم و مسَّاكم (3) .

(6) وسمع النار بأذنه :

وإن كان رسول الله ﷺ قد رأى نار جهنم بعيني رأسه فقد سمع أيضًا ما يدور فيها ، فعن أبي هريرة ﷺ [ت : 58] قال : كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة (سقطة) فقال النبي ﷺ : **«تدرون ما هذا ؟»** قلنا : الله ورسوله أعلم .

(1) صحيح : صحيح مسلم بشرح النووي 480/3 . ط . دار أبي حيان .
(2) صحيح : رواه مسلم عن جابر رقم : 2398 .
(3) صحيح : رواه مسلم وابن ماجة كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم : **48** .



قال : " **هذا حجر رُمي به في النار منذ سبعين خريفا فهو يهوي في النار الآن حين انتهى إلى قعرها** "(1).

تلامذة يقتدون

* واسمعوا إلى ما حدث مع الفقيه القدوة عالم اليمن **طاووس بن كيسان** [ت : 106] الذي قال عنه **عبد الله بن عباس** رضي الله عنه [ت : 68] : "**إني لأظن طاووسا من أهل الجنة** "(2) :

لما حج **سليمان بن عبد الملك** [ت : 99] خرج حاجبه يقول : إن أمير المؤمنين قال : ابغوني فقيها أسأله عن بعض المناسك ، فقالوا : هذا **طاووس اليماني** فأخذه الحاجب فقال : فأجب أمير المؤمنين. قال : فأعفني ، فأبى ثم أدخله عليَّ.

قال **طاووس** : فلما وقفت بين يديه قلت : إن هذا المجلس يسألني الله عنه ، فقلت : يا أمير المؤمنين . . إن حجرة كانت على شفير جُبٍّ في جهنم هوت فيها سبعين خريفا حتى استقرت في قرارها . أتدري لمن أعدَّها الله ؟! قال : لا . . ويلك لمن أعدَّها ؟! قال : " لمن أشركه الله في حكمه فجار "(3).

* لما أيقن رفيق القرآن وجليس السنة **مالك بن دينار** [ت : 130] بالنار وصدَّق اقتداؤه بالنبي ﷺ تمنى أمنية عجيبة تُسفر عن همة عالية و عزيمة صادقة فقال : "لو وجدت أعوانا لفرَّقتهم ينادون في سائر الدنيا كلها : يا أيها الناس . . النار النار "(4).

* **أبو موسى الأشعري** رضي الله عنه [ت : 52] كان من قبلهما له شأن آخر ، حيث ترجم يقينه إلى وصية كان يوصي بها امرأته كلما خرج من منزله قائلا لها : " شُدّي رحلك فليس على جسر جهنم معبر "(5).

(7) وسمع عذاب القبر :

عن **زيد بن ثابت** رضي الله عنه [ت : 45] قال : بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة ، فقال : من يعرف أصحابي هذه الأقبر ؟ فقال رجل : أنا . قال ﷺ : « **فمتى مات هؤلاء ؟** ». قال : ماتوا في الإشراك ، فقال ﷺ :

---

(1) رواه مسلم وأحمد عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم : 6993.
(2) نزهة الفضلاء 577/2.
(3) نزهة الفضلاء 578/2.
(4) الحلية 369/3.
(5) قصر الأمل ص 108 رقم : 151 . أبو بكر بن أبي الدنيا . ط . دار ابن حزم .

« إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع » (1) .

عذاب القبر . . . سمعه رسول الله ﷺ بأذنه طوال حياته فكان كلما أشرف على قبر أو مرّ عليه استعاذ من عذاب القبر ولذا كان الأمر عنده رأي عين ، وبعثه الله عز وجل إلينا ليخبر الناس بما عندهم غيب وعنده شهادة ، ومن رحمته بنا أنه لم يدْعُ بأن نسمع ما سمع ، وإلا امتلأت الأرض بجثث الأموات وأسنت الحياة وتعفنت ، لكن عذاب القبر تسمعه البهائم ولذا حادت به بغلته ﷺ فيسمعه كل الخلائق إلا الإنس والجن ولو سمعاه لصعقا .

ولأنه رأى - وليس من رأى كمن سمع - فقد أمرنا أمرا جمع فيه غاية حبه وخوفه على أمته فقال :

« استعيذوا بالله من عذاب القبر ، إنهم يعذَّبون في قبورهم عذابًا تسمعه البهائم » (2) .

حتى اليهود يؤمنون !!

والحق أن عذاب القبر يؤمن به الناس أجمعون ولو كانوا يهودا !! كما حدث مع **عائشة** [ت : 58] حيث أخبرتها اثنتان من عجائز يهود المدينة وقالتا : إن أهل القبور يعذبون في قبورهم فكذبتهما وقالت : ولم أنعم أن أصدقهما ، فخرجتا ودخل عليَّ النبي ﷺ فقلت له : يا رسول الله . . إن عجوزين . . . وذكرت له ، فقال : «**صدقتا إنهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم كلها**» ، فما رأيته بعد في صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر(3) .

لم يَدَعْ صلاة إلا تعوذ فيها من عذاب القبر . . . وهل أول من تنشق عنه الأرض ، وأول من يمسك بحلق الجنة ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأنت تنسى ذلك كل صلاة !!

ولأنه ﷺ رأى وسمع ما حدث في القبر و جرى كان أشد المناظر فظاعة عنده . . منظر قبر !!

قال رسول الله ﷺ :

« ما رأيتُ منظرا إلا والقبر أفظع منه » (4) .

---

(1) صحيح : رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها رقم : 2867 .

(2) صحيح : رواه أحمد والطبراني عن أم مبشر كما في ص ج ص رقم : 942 والصحيحة رقم : 1444 .

(3) صحيح : رواه البخاري ومسلم كما في اللؤلؤ والمرجان رقم : 343 .

(4) صحيح : رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه كما في ص ج ص رقم : 5623 .

و لفظاعة منظره و لهول ما يحدث فيه كان **عثمان بن عفان** رضي الله عنه [ت : 35] كلما وقف على قبر بكى حتى بلّ لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتذكر القبر فتبكي !! قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشد » (1).

وسمعه مولاه هانيء ينشد على قبر :

فإن تنجُ منها تنجُ من عظيمة وإلا فإني لا أخالك ناجيا

إخواني . . الميت يصيح في قبره ولا يسمعه أحد و يستغيث ولا مغيث :

أنا في القبر وحيدٌ قـد تبرأ الأهل مني

أسلـموني لذنوبي خِبْتُ إن لم تعفُ عني

ولهذا كان **لأبي هريرة** رضي الله عنه [ت : 58] صيحتان في كل يوم : أول النهار وآخره ، ينفخ بهما روح اليقين في القلوب البالية ، ويقول : ذهب وجاء النهار وعُرض آل فرعون على النار ، فلا يسمعه أحد من الناس إلا استعاذ بالله من النار(2).

أمك في انتظارك

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه [ت : 94] قال :

لما دُفن **سعد بن معاذ** [ت : 5] ونحن مع رسول الله ﷺ ؛ سبَّح رسول الله ﷺ ، فسبَّح الناس معه طويلا ، ثم كبَّر فكبَّر الناس ، ثم قالوا : يا رسول الله . . م سبحت ؟!

فقال :

« لقد تضايق على هذا الرجل الصالح قبره حتى فرّجه الله عز وجل عنه »(3).

أخـي . . إن كان هذا ما حدث مع **سعد بن معاذ** الذي اهتز عرش الرحمن لموته فماذا سيحدث لك ؟!

---

(1) حسن : رواه ابن ماجة عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة رقم : 3442 .

(2) نزهة الفضلاء 267/1 . ط دار الأندلس الخضراء .

(3) صحيح : رواه أحمد في باقي مسند المكثرين رقم : 14498 . قال الشيخ شعيب أرناؤوط : حديث صحيح .

أخـي . . لن ينجو من ضمة القبر أحد . . لن ينجو أحد ، ولو نجا أحد لكان **سعد بن معاذ** رضي الله عنه ، ولكني أبث الطمأنينة في قلبي وقلبك وأقول لك : شتان بين ضمة وضمة . . شتان بين ضمة المؤمن وضمة العاصي .

قال الإمام **حافظ الدين أبو البركات النسفي** [ت : 710] :

" إنما أصلها أنها أمهم ومنها خُلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة ، فلما رُدّوا إليها ضمَّتهم ضمَّة الوالدة غاب عنها ولدها ثم قدم عليها ، فمن كان لله مطيعا ضمَّته برأفة ورفق ، ومن كان عاصيا ضمَّته بعنف سخطًا منها عليه لربها " .

(8) ورأى الجنة رأي العين :

إلام وصل منسوب اليقين في قلبك الآن ؟ إن لم يكن ما سبق من الأخبار التي تبعث على الخوف قد أثَّر فيك فجرِّب معي أن تشتاق . قال **بشر بن الحارث** [ت : 227] : " **هب أنك لا تخاف .. ويحك .. ألا تشتاق ؟!** "[1] .

واسمع كيف زرع النبي ﷺ الشوق في قلبك بإخبارك كيف دخل الجنة و رأى فيها ما رأى فأطلعك على ما غاب عنك

قال رسول الله ﷺ :

* « **دخلتُ الجنة فاستقبلتني جارية شابة فقلت : لمن أنت ؟ فقالت : لزيد بن حارثة** »[2] .

* « **دخلتُ الجنة البارحة فنظرت فيها فإذا جعفر يطير مع الملائكة وإذا حمزة متكئ على سرير**»[3] .

* « **دخلتُ الجنة فسمعت خشفة بين يديَ قلت : ما هذه الخشفة ؟ ، فقيل : هذا بلال يمشي أمامك**» [4] .

* « **دخلتُ الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل درجتين** »[5] .

---

(1) طبقات الصوفية ص44 . أبو عبد الرحمن السلمي . ط . مكتبة الخانجي .

(2) صحيح : رواه الضياء كما في ص ج ص رقم : 3361 .

(3) صحيح : رواه الطبراني والحاكم عن **ابن عباس** رضي الله عنه كما في ص ج ص رقم : 3358 .

(4) صحيح : رواه الطبراني وابن عدي عن **أبي أمامة** رضي الله عنه كما في ص ج ص رقم : 3364 .

(5) حسن : رواه ابن عساكر عن عائشة ، وحسنه الألباني في ص ج ص رقم : 3362 ، وزيد هذا كان يدعو إلى التوحيد في الجاهلية وكان على الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام ، ويُبعث أمة وحده ، وهو والد الصحابي المبشر بالجنة **سعيد بن زيد** رضي الله عنه .

* « لقد رأيتُ رجلاً يتقلّب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق ، وكانت تؤذي الناس »[1].

* « أريتُ في الجنة امرأة أبي طلحة »[2].

كان رسول الله ﷺ يرى الجنة كثيرًا في حياته حتى رآها في أحلك ظروفه وأحواله : عند قبض روحه و انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، ولم يكن ذلك يحدث معه فحسب ، بل مع كل نبي عند قبض روحه وانتهاء أجله. قال رسول الله ﷺ :

« إنه لمُ يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ، ثمُ يخيّر »[3].

ولأنه رآها قبل ذلك وعاينها كانت المقارنة عنده مرفوضة والنتيجة محسومة :

« اللهم اغفر لي وألحقني بالرفيق الأعلى » [4].

(9) كل نبوءاته تتحقق :

هذه أقوال ترجمت إلى أحداث ، فكان لها أعظم الأثر في غرس اليقين في قلوب أصحابه ﷺ ، حتى كان مجرد النظر إليه باعثا من بواعث اليقين ، فاسمعوا كي تغرسوا . . كي توقنوا .

* عن **ثابت بن أنس** رضي الله عنه : أن النبي ﷺ لما ورد ماء بدر أومأ بيده إلى الأرض فقال : **«هذا مصرع فلان»** ، **«هذا مصرع فلان»** فوالله ما ماط **(تنحى وبعد)** أحد منهم عن مصرعه[5].

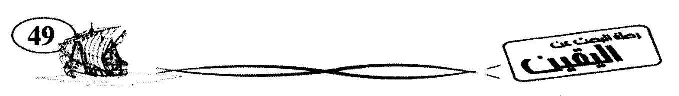
* ولما بعث رسول الله ﷺ **خالد بن الوليد** رضي الله عنه [ت : 21] ليأسر **أكيدر بن عبد الملك** ملك كندة ؛ قال له : إنك ستجده يصيد البقر ، فوجده كما أخبره رسول الله ﷺ ، وكان ذلك في غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة .

* وفي ذات الغزوة **(تبوك)** قال النبي ﷺ : أما إنها ستهب الليلة ريح شديدة فلا يقومن أحد ، ومن كان معه بعير فليعقله ، فهبت ريح كما أخبر رسول الله ﷺ .

* ويخبر **أبا ذر الغفاري** [ت : 32] رضي الله عنه أثناء غزوة تبوك بتفاصيل موتته قائلا : تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ، فيموت وحيدًا كما قال النبي ﷺ في الربذة .

---

(1) صحيح : رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه كما في ص ج ص رقم : 5134.
(2) صحيح : رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه كما في صحيح مسلم رقم : 2457.
(3) صحيح : رواه الشيخان وأحمد عن عائشة كما في ص ج ص رقم : 2402.
(4) صحيح : رواه ابن ماجة عن عائشة كما في صحيح ابن ماجة رقم : 1312.
(5) صحيح : رواه مسلم كما في كتاب الجهاد والسير رقم : 1779.



* ولما بشَّر ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه [ت: 11] خطيب الأنصار وقال: « **يا ثابت ... ألا ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة ؟!** » قال: بلى يا رسول الله، فعاش حميدا وقُتل شهيدا يوم مسيلمة الكذاب ويدخل الجنة إن شاء الله .

* ولما أسر ﷺ إلى ابنته فاطمة حديثا بكت، ثم أسرَّ لها حديثا فضحكَتْ فسئلت في ذلك قالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ حتى قبض النبي ﷺ، فقالت: أسرَّ إلي **«أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقًا بي »**، فقال: « **أما ترضين أن تكوني سيد نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين ؟** » فضحكتُ لذلك .

قال النووي [ت: 676]:

" هذه معجزة ظاهرة له ﷺ، بل معجزتان فأخبر ببقائها بعده (عاشت بعده 6 أشهر)، وبأنها أول أهله لحاقا به ووقع ذلك " [1] .

* ويخبر عمار بن ياسر رضي الله عنه [ت: 37]:

« **أبشر عمار ... تقتلك الفئة الباغية** » [2] .

قال الإمام النووي [ت: 676]:

" في هذا الحديث معجزات ظاهرة لرسول الله ﷺ منها أن عمار رضي الله عنه يموت قتيلاً، وأنه يقتله مسلمون، وأنهم بغاة، وأن الصحابة يقتتلون، وأنهم يكونون فرقتين باغية وغير ذلك، وكل هذا وقع مثل فلق الصبح .... صلى الله وسلم على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى " [3] .

بل يصف آخر مشهد من مشاهد عمار رضي الله عنه في الدنيا قبل مصرعه فيقول ﷺ: « **آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن** » [4] .

وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ وذلك في سنة 37 من الهجرة في معركة صفين، وقد أُتي رضي الله عنه بشربة لبن فضحك، فقيل: ما يضحكك ؟! فقال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(1) شرح النووي لصحيح مسلم 16/5 .

(2) صحيح: أخرجه الشيخان كما في السلسلة الصحيحة رقم: 710 .

(3) شرح النووي 13/ 40 .

(4) صحيح: رواه أحمد والحاكم في المستدرك وقال الحاكم: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

يقول : «**آخر زادك من الدنيا ضبح من لبن**» ، ثم شرب فقاتل حتى قتل وهو يومئذ ابن أربع وتسعين سنة .

* وينظر ﷺ إلى **الحسن** [ت : 58] ثم ينظر إلى الناس ويقول : « **ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين** »(1) .

ويتحقق ذلك سنة 40 من الهجرة بعدما آلت الخلافة إثر استشهاد **علي** رضي الله عنه إلى ابنه **الحسن** فتنازل وصالح **معاوية** رضي الله عنه .

وقد أحصى أحد العلماء في رسالته نبوءات النبي ﷺ فوجدها 188 نبوءة ، تحقق منها إلى الآن 160 نبوءة ، وبقيت 28 نبوءة لم تتحقق بعد نحن في انتظار تحققها (2) .

(10) السيف طريق آخره .. الجنة :

وذلك مصداق قول رسول الله ﷺ :

« **إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف** »(3) .

روى هذا الحديث **أبو موسى الأشعري** رضي الله عنه [ت : 52] وكان كل معركة يوقظ به الهمم ، ويبعث عن طريقه اليقين ، فقام رجل رثّ الهيئة فقال : يا أبا موسى : آنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا ؟! قال : نعم ، فرجع الرجل إلى أصحابه فقال : أقرأ عليكم السلام ، ثم كسر جفن سيفه - يعني غمده- فألقاه ثم مشى بسيفه إلى العدو ، فضرب به حتى قُتل (4) .

سبحان الله . . كان حديث رسول الله ﷺ يُقرأ على أسماع الصحابة فيوقنون به وإن لم يروا رسول الله ﷺ ، فيبذلون دماءهم بكلمة ، ويقدمون أرواحهم بكلمة ، ويغادرون الحياة بكلمة من رسول الله ﷺ .

أليس عجيبا أن يُضحِّي رجل بحياته بموجب كلمة سمعها من رسول الله ﷺ ونحن نسمع أحاديث للنبي ﷺ تحثنا على أعمال هي دون الجهاد بكثير من حيث المشقة والجهد ودرجة البذل والتضحية ، ثم لا تجد لها مجيبا أو تبصر موقنا !! تُرى . . فما نسبة اليقين في قلب هذا الأعرابي إلى اليقين في قلوبنا ؟!

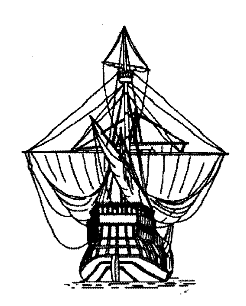
(1) صحيح : رواه البخاري وأبو داود والترمذي كما في إرواء الغليل رقم : 1597 .
(2) نبوءات الرسول . . ما تحقق منها وما لم يتحقق . محمد ولي الله عبد الرحمن الندوي . ط دار السلام .
(3) صحيح : رواه أحمد ومسلم والترمذي عن أبي موسى رضي الله عنه كما في ص ج ص رقم : 1530 .
(4) صحيح : أخرجه مسلم في الإمارة 1511/3 .

دعـوه لا تـلـومـــوه دعـــوه	فقد علم الذي لم تعـلموه
رأى عـلـم الهـدى فسما إليـه	وطالب مطـلبا لـم تطـلبوه
أجــاب دعـــاءه لما دعـــــاه	وقـام بـأمره وأضعتمـــوه
بنفـسي ذاك مـن فطـن لبيــب	تذوّق مطعـما لم تطـعموه

الشهـداء في القمـة

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة : 154]

فنهانا سبحانه أن نطلق على الشهيد وصف : ميت ، فهو حي في حياته وبعد رحيله ، لذا قال النبي ﷺ عن **طلحة بن عبيد الله** وهو حي : « **طلحة ممن قضى نحبه** » ، فالحي حي في حياته وبعد مماته ، وميت القلب ميت في حياته وبعد موته ، وحياة قلب الشهيد ويقينه توحي بها معنى كلمة " شهيد " ؛ والتي تعني أنه شهد على الغيب حتى صار عنده شهادة ، ولأنه رأى بقلبه ما لا يراه الناس إلا بعد موتهم ؛ فأقدم على التضحية بأغلى ما يملك ؛ كوفيء باستمرار إطلاق صفة الحياة عليه حتى بعد الموت[1] .



(1)طالع كتابنا (وعادت الروح) تحت الإعداد .



الفـــصل الثالث



أنواع اليقين



لن تكون موفقا حقا حتى تحقق في نفسك هذه المعاني من يقين بالقرآن ويقين بما جاء في السنة ، ويقين بالموت ، ويقين بالقدرة الإلهية ، ويقين بالقدر رزقا كان أم أجلا ، ويقين بالجزاء ، ويقين بأسماء الله وصفاته ، فإلى هذه الصفحات لتعرف أنواع اليقين.

أنواعُ اليَقِين

(1) اليقين بصدق القرآن :

وكيف لا نوقن بصدق القرآن والقرآن يقرع أسماعنا بهذا الاستفهام الاستنكاري صباح مساء : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء : 87]، وبقوله : ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء : 122] .

أ- عشرون يغلبون مائتين :

عن أبي عبد الله مردنيش المغربي أنه أغار يوما فغنم غنائم كثيرة ، واجتمع عليه من الروم أكثر من ألف فارس ، فقال لأصحابه وكانوا ثلاث مائة فارس : ما ترون ؟ فقالوا : نشغلهم بترك الغنيمة . قال : ألم يقل القائل : ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ [الأنفال: من الآية : 65] ، فقال أصحابه : يا رئيس ... الله قال هذا ؟ فقال : الله يقول هذا وتقعدون عن لقائهم !! قال : فثبتوا فهزموا الروم [(1)] .

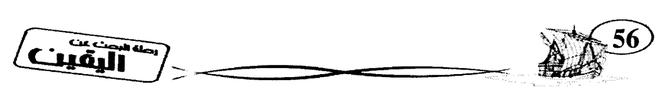
ب- فله عشر أمثالها :

فهم علي بن أبي طالب [ت : 40] هذه الآية وأيقن بها ، وعندها فقط رأى العجب!!

وقف سائل على أمير المؤمنين **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه فقال **للحسن** أو **الحسين** : اذهب إلى أمك فقل لها : تركت عندك ستة دراهم فهات منها درهما ، فذهب ثم رجع فقال : قالت : إنما تركت ستة دراهم للدقيق ، فقال علي : **لا يصدق إيمان عبد حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده** . قل لها : ابعثي بالستة دراهم ، فبعثت بها إليه فدفعها إلى السائل . قال : فما حلّ حبوته حتى مرَّ به رجل معه جمل يبيعه ، فقال علي : بكم الجمل؟ قال : بمائة وأربعين درهما ، فقال علي : اعقله على أن نؤجِّرك بثمنه شيئا ، فعقله الرجل ومضى، ثم أقبل رجل فقال : لمن هذا البعير؟ فقال علي : لي ، فقال : أتبيعه؟ قال : نعم قال : بكم ؟ قال : بمائتي درهم . قال: قد ابتعته . قال : فأخذ البعير وأعطاه المائتين ، فأعطى الرجل الذي أراد أن يؤخره مائة وأربعين درهما ، وجاء بستين درهما إلى **فاطمة** رضي الله عنها ، فقالت: ما هذا ؟! قال : هذا ما وعدنا الله على لسان نبيه ﷺ : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[الأنعام : 160].

---

(1) نزهة الفضلاء 1545/4 .

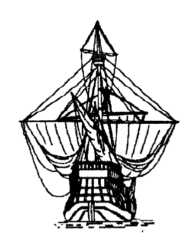


جـ- غلبت الروم :

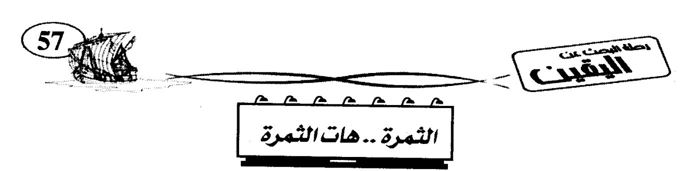
عن نيار بن مكرم الأسلمي قال :

" ﴿الٓمٓ (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم : 4:1] ، فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم ، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل كتاب ، وفي ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم : 5:4] ، وكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث ، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه يصيح في نواحي مكة : ﴿ الٓمٓ (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: 1-4]

قال ناس من قريش لأبي بكر : فذلك بيننا وبينكم زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين ؛ أفلا نراهنك على ذلك؟! قال : بلى ، وذلك قبل تحريم الرهان ، فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان ، وقالوا لأبي بكر : كم تجعل البضع؟! ثلاث سنين إلى تسع سنين ، فسمِّ بيننا وبينك وسطا تنتهي إليه . قال : فسمُّوا بينهم ست سنين . قال : فمضت الست سنين قبل أن يظهروا ، فأخذ المشركون رهن أبي بكر ، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس ، فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين ؛ لأن الله تعالى قال في بضع سنين . قال : وأسلم عند ذلك ناس كثير " (1).



(1)حسن : حسنه الألباني في صحيح الترمذي 88/3 رقم : 2552 .



الثمرة .. هات الثمرة

وثمرة اليقين بالقرآن : الإقبال عليه ، والتعرف على معانيه وتفسيره ، وتدبر آياته ليُفهم المقصود منها والمراد منا ، والاعتبار بسير السابقين التي وردت فيه لاستخلاص الدروس والعبر التي تفيد في الحياة ، والاستشفاء به من أمراض القلب، وعدم التماس الهداية في غيره ، وتطبيق أحكامه .

(2) اليقين بما أخبر به النبي ﷺ :

أ- يقين الصدّيق رضي الله عنه :

ارتدَّ ناس ممن كانوا آمنوا بالنبي ﷺ وصدقوه ، وسعوْا بذلك إلى **أبي بكر** رضي الله عنه [ت : 13] فقالوا : هل لك في صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟! فقال : أو قال ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : إن كان قال ذلك لقد صدق ، فقالوا : قد صدّقته أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟! قال : نعم إني لأصدِّقه مما هو أبعد من ذلك . . أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة .

لم يسبقنا أبو بكر رضي الله عنه بصلاة ولا بصيام وإنما سبقنا بشيء وقر في صدره . . . هذا الشيء اسمه **(اليقين)** .

من أجل هذا كان الصدِّيق هو الصدِّيق ، إن العبد قد ينمو يقينه مع كل موقف يمر به يوافق نبوءة أو خبرًا لرسول الله ﷺ ، أو قد يرى معجزات النبي ﷺ واحدة بعد واحدة فيبني يقينه بها لبنة لبنة ، ويكون اكتساب اليقين هنا تراكميا ، لكن يقين **الصديق** كان من غير هذا النوع ؛ يقين كامل من أول لحظة من إسلامه ، وإيمان تام لا يضطرب من اليوم الأول .

ب- فيه شفاء للناس :

عن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه [ت : 63] أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : أخي يشتكي بطنه ، فقال ﷺ : **«اسقه عسلاً »** ، ثم أتى الثانية فقال : **«اسقه عسلاً»** ، ثم أتى الثالثة فقال : **«اسقه عسلاً»** ، ثم أتاه فقال : فعلت ، فقال ﷺ : **«صدق الله وكذبت بطن أخيك ... اسقه عسلاً»** ، فسقاه فبرأ [1] .

---

(1) صحيح : رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه كما في اللؤلؤ والمرجان رقم : 1432 .

انظر - حفظك الله - كيف أن هذا المريض لم ينتفع بالدواء الذي وصفه له رسول الله ﷺ إلا بعد أن أيقن بصدق الله سبحانه وتعالى وكذّب بطنه ، فكأن رسول الله ﷺ وصف له دواءين أولهما : روحي وهو اليقين ، وثانيهما : مادي وهو العسل ، فمن أغفل أحدهما دام مرضه واستحال شفاؤه .

قال **الإمام النووي** [ت : 676] :

" ولا يُنكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة ، فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول ، واعتقاد الشفاء به ، وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان ، فهذا القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور - إن لم يُتلقَّ هذا التلقي - لم يحصل به شفاء الصدور من أدوائها ، بل لا يزيد المنافقين إلا رجسا ومرضا إلى مرضهم "(1) .

ج- شهادة رجل برجلين :

عن **عمارة بن خزيمة** أن عمه حدَّثه وهو من أصحاب النبي ﷺ : أن النبي ﷺ ابتاع (اشترى) فرسا من أعرابي واستتبعه ليقبض ثمن فرسه ، فأسرع النبي ﷺ وأبطأ الأعرابي ، وطفق الرجال يتعرَّضون للأعرابي فيسومونه بالفرس ؛ وهم لا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه حتى زاد بعضهم في السوم على ما ابتاعه به منه ، فنادى الأعرابي النبي ﷺ ، فقال : إن كنت مبتاعا هذا الفرس وإلا بعته ، فقام النبي ﷺ حين سمع نداءه ، فقال : «**أليس قد ابتعته منك؟**» قال : لا والله ما بعتكه ، فقال النبي ﷺ : «**قد ابتعته منك**»، فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ وبالأعرابي ، وهما يتراجعان وطفق الأعرابي يقول : هلم شاهدا يشهد أني قد بعتكه . قال **خزيمة بن ثابت** : أنا أشهد أنك قد بعته . قال : فأقبل النبي ﷺ على **خزيمة** ، فقال : «**بم تشهد؟**» قال : بتصديقك يا رسول الله . قال : فجعل رسول الله ﷺ شهادة **خزيمة** شهادة رجلين(2) .

وقد كافأه الله على يقينه وتصديقه لرسوله بأن استمر الصحابة في الأخذ بهذه الشهادة حتى بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى ؛ وفي أخطر أمر وهو جمع القرآن الكريم ، فقد روى **الزهري** عن **خارجة بن زيد** : أن **زيد بن ثابت** [ت : 45] قال :

« لما نسخنا المصاحف فُقدت آية من سورة الأحزاب قد كنت أسمع النبي ﷺ يقرأ بها ، فالتمستها فلم أجدها مع أحَد إلا مع **خزيمة بن ثابت الأنصاري** ؛ الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين »(3) .

(1) الطب النبوي ص31 ، 32 . شرف الدين النووي . ط دار الحديث .
(2) صحيح : رواه النسائي 301/7، وصححه الألباني .
(3) صحيح : رواه أحمد في المسند 188/5 . تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

د- لن أموت الآن!!

عن **فضالة بن أبي فضالة الأنصاري قال** : خرجت مع أبي إلى ينبع عائدا **لعلي بن أبي طالب** رضي الله عنه - وكان مريضا بها حتى ثقل - فقال له أبي : ما يقيمك بهذا المنزل؟ ولو مت لم يلك إلا أعراب جهينة؟! احتمل حتى تأتي المدينة ، فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وصلّوا عليك - وكان رضي الله عنه من أصحاب بدر- فقال علي : **" إني لست ميتا من وَجعي هذا ، إن رسول الله ﷺ عهد إلي أن لا أموت حتى أؤمَّر ، ثم تختضب هذه - يعني لحيته - من دم هذه - أي هامته- "**(1) .

وكذلك كان أخوه في التصديق **عمار بن ياسر** رضي الله عنه ؛ وذلك في ثقته بحتمية حدوث ما أخبره به رسوله ويقينه الذي لا يوصف ، فقد روت **أم عمار** -حاضنة لعمار- : اشتكى **عمار** فقال : **"لا أموت في مرضي هذا ، حدَّثني حبيبي رسول الله ﷺ أني لا أموت إلا قتيلاً بين فئتين مؤمنتين "**(2) .

هـ - اختبر يقينك:

وبعد أن رأيت هذه النماذج بعيني قلبك ، وتعرَّضت لبرد يقينها ، وعشت في ظلال إيمانها ، فهل لك أن تستمع لهذه البشارة ، وتُصغي لهذه النبوءة ، لتطمئن على حالة قلبك وتعرف حظه من التصديق واليقين ، فعن **أبي قبيل** قال : كنا عند **عبدالله بن عمرو بن العاص** [ت: 65] وسئل : أي المدينتين تفتح أولا القسطنطينية أو رومية ؟ فدعا **عبدالله** بصندوق له حلق قال : فأخرج منه كتابا . قال : فقال **عبدالله** : بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ : أي المدينتين تفتح أولا . قسطنطينية أو رومية ؟ فقال رسول الله ﷺ : **«مدينة هرقل تفتح أولا»** . يعني : قسطنطينية (3) .

وقد تحقق الفتح الأول **على يد محمد الفاتح** [ت: 857] بعد ثمانمائة سنة من إخبار النبي ﷺ بالفتح ، وسيتحقق الفتح الثاني بفتح روما حتما ولا بد بإذن الله تعالى .

ولهذا الحديث دور لا يُنكر في اقتلاع جذور اليأس من نفوس الدعاة وزرع بذور الأمل بدلاً منها ، ليقوموا هم بدورهم المنشود في بث روح التفاؤل والاستبشار في أمة غلبها اليأس واستفرد بها التشاؤم ، ليشارك كل فرد منها في صنع هذه البشارة بعمله وجهده

---

(1) حياة الصحابة 676 نقلا عن منتخب الكنز 5/ 59 وقال : رجاله ثقات .

(2) حياة الصحابة 676 .

(3) صحيح : رواه أحمد والدارمي وابن أبي شيبة في المصنف ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو كما قالا كما في السلسلة الصحيحة 33/1 .

وبذله وتضحيته ، وفارق كبير عند الله في الجزاء وعند الناس في الإقبال على الخير والاهتداء ؛ بين من يدعو إلى الله واليأس يملؤ قلبه والإحباط يقوده ، وبين من يدعو وهو واثق من النتيجة وموقن بالظفر ، ولله در القائل :

يا أمتي وأقول اليوم في ثقة ... إني اليقينُ فلا شيءٌ يزعزعني

إني العقيدة والإقدام فيصلها ... وليس غيرُ نداء الله يسحرني

أذود عنه وفيها علَّ خاتمتي ... تكون في ظلها يوماً فتقبلني

فالليل يعقبه فجر ومئذنة ... والله أكبر نبراسٌ على الزمن

الهول في خطوي والنور في دربي ... وأظل أسمع صوتَ الحق في أذني

الثمرة .. هات الثمرة

ولليقين بما أخبر به النبي ﷺ ثمرتان :

1 - **في ساحة الغيب** : ومن أعظم الغيب : أشراط الساعة ، وقد ورد عشرة منها في حديث **شعبة عن فرات القزاز عن أبي الطفيل عن أبي سريحة حذيفة بن أسيد** قال : كان النبي ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه ، فاطلع إلينا ، فقال : «**ما تذكرون؟**» قلنا : الساعة . قال : « **إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف في جزيرة العرب ، والدخان ، والدجال ، ودابة الأرض ، ويأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونار تخرج من قعرة عدن ترحِّل الناس** » .

قال شعبة : وحدثني عبد العزيز بن رفيع عن أبي الطفيل عن أبي سريحة مثل ذلك لا يذكر النبي ﷺ ، وقال أحدهما في العاشرة : **نزول عيسى بن مريم ﷺ** ، وقال الآخر : **وريح تلقي الناس في البحر** [1] .

والعلامات الأخرى غير هذه كثيرة منها : خروج ما أخبر به النبي ﷺ من الفتن ، وخروج المهدي ، والحرب مع اليهود حتى يقول الحجر والشجر : يا مسلم هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله ، وغير ذلك من الآيات ، والواجب علينا أن نوقن بكل ما أخبر به

(1) صحيح : رواه مسلم 2225/4.



رسوله ﷺ يقينا لا يتزعزع ولا يتزحزح ، فما هو إلا كما قال ربه : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ﴾ [الأنبياء: 45] ، والوحي من عند الله ، وليس من عند نفسه ، وما هو غير رسول ومبلِّغ .

ومن الإيمان بالغيب : الإيمان بصحة ما أخبر به النبي ﷺ مما أثبته العلم الحديث أم لم يُثبته بعد ؛ ما دام قد صح وروده عن النبي ﷺ قطعيا ، ومن أمثلة ذلك حديث الذبابة ، فالنبي ﷺ قال : « **إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء** »(1) .

وحتى مع الذين ليس لهم باع من الدراسة والاطلاع العلمي والبحث التجريبي ، فعليهم أن يوقنوا بصحة خبر نبيهم ما دام قد قاله .

2 – **في ساحة العمل** : تناول أحاديث النبي ﷺ بروح جديدة وشوق جارف ، واستقبال أحاديث فضائل الأعمال على أنها كنوز لا تقدَّر بمال ، وأرباح أعظم من الخيال ، وهذا الشوق إلى الأجر يفوق شوق الظمآن إلى الماء ، والأعمى إلى بصيص النور ، فتكون كلمات النبوة تعليمات للتنفيذ لا مجرد مواعظ للتنبيه والتذكير .

واسمعوا هذه النماذج لتتذوقوا هذه الثمرة جيدا وتختبروا يقينكم في ضوئها ولعلكم توقنون :

* عن **عوف بن مالك الأشجعي** رضي الله عنه [ت: 73] قال : « كنا عند النبي ﷺ سبعة أو ثمانية أو تسعة ، فقال : ألا تبايعون رسول الله ، فبسطنا أيدينا فقال قائل : يا رسول الله!! إنا قد بايعناك فعلام نبايعك؟! فقال : **أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتقيموا الصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا** ، وأسرَّ كلمة خفية : « **ولا تسألوا الناس شيئا** » . قال : " فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا يناوله إياه " (2) .

* عن **عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عبد الله بن رواحة** رضي الله عنه [ت: 8] أتى النبي ﷺ ذات يوم وهو يخطب ، فسمعه وهو يقول : اجلسوا ، فجلس مكانه خارجا عن المسجد حتى فرغ النبي ﷺ من خطبته ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال له : « **زادك الله حرصا على طواعية الله وطواعية رسوله** » (3) .

---

(1) صحيح : رواه البخاري وابن ماجة عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم : 837.

(2)صحيح : مسلم وأبوداود وابن ماجة عن **عوف بن مالك** رضي الله عنه كما في صحيح أبي داود رقم: 1449 وصحيح ابن ماجة رقم : 2316.

(3) كذا في كنز العمال 420/13 وأخرج البيهقي نحوه عن عبد الرحمن بسند صحيح كما في الإصابة 306/2 .

* عن **أنس** رضي الله عنه [ت : 92] أن رسول الله ﷺ خرج يوما ونحن معه فرأى قبة مشرفة فقال : «**ما هذه؟!**» قال أصحابه : هذه لفلان رجل من الأنصار ، فسكت وحملها في نفسه حتى إذا جاء صاحبها رسول الله ﷺ ، وسلَّم عليه في الناس ، فأعرض عنه ، صنع ذلك مرارا حتى عرف الرجل الغضب فيه والإعراض عنه ، فشكا ذلك إلى أصحابه ، فقال : والله إني لأنكر رسول الله ﷺ . قالوا : خرج فرأى قبتك ، فرجع إلى قبته ، فهدمها حتى سواها بالأرض ، فخرج رسول الله ﷺ ذات يوم ، فلم يرها . قال : « **ما فعلت القبة؟!**» قالوا : شكا إلينا صاحبها إعراضك عنه ، فأخبرناه فهدمها ، فقال : «**أما إن كل بناء وبال على صاحبه إلا ما... لا إلا ما لا** » (1) .

* كان **محمد بن أسلم الطوسي** [ت : 242] الإمام المتفق على إمامته مع رتبته أتبع الناس للسنة في زمانه حتى قال : ما بلغني سنة عن رسول الله ﷺ إلا عملت بها ، ولقد حرصت على أن أطوف بالبيت راكبا ، فما مُكِّنت من ذلك ، فسئل بعض أهل العلم في زمانه عن السواد الأعظم الذين جاء فيهم الحديث : « **إذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الأعظم**» ، فقال : **محمد بن أسلم الطوسي** هو السواد الأعظم(2) .

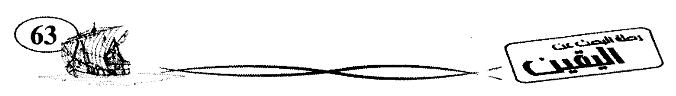
السيف الخشب !!

ومن عجائب الامتثال والتي كادت تكون ضربا من الخيال لولا نقل **ابن إسحاق** [ت : 151] وإخوانه من أصحاب السير لهذه القصة العجيبة المذهلة :

« وقاتل **عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي** [ت : 11] حليف بني عبد شمس يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده ، فأتى رسول الله ﷺ ، فأعطاه جذلا من حطب ، فقال : **قاتل بهذا يا عكاشة!!** فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزَّه فعاد سيفا في يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين ، وكان ذلك السيف يسمى العون ، ثم لم يزل عنده يشهد به الشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتله طليحة الأسدي أيام الردة »(3) .

---

(1) حسن صحيح : رواه أبوداود وابن ماجة كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم : 1874 ، وقوله : « **إلا ما لا** » أي إلا ما لا بد منه مما يستره من الحر والبرد والسباع ونحو ذلك .
(2) إغاثة اللهفان 70/1.
(3) البداية والنهاية 290/3 .



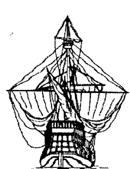
وهذا الصحابي هو **عكاشة** الذي ذكره رسول الله ﷺ في السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، ولقد أيقن **عكاشة بن محصن** بقول رسول الله وبادر بامتثال أمره على الفور : « **قاتل بهذا يا عكاشة !!** » ، فأخذ الخشبة من رسول الله ليواجه بها جحافل الكفر المجهزة بالسيوف القواطع والرماح النافذة ، ومع ذلك لم يتردَّد لحظة ولم يشك قلبه طرفة عين ، وعندها تحوَّلت قطعة الخشب في يده سيفا أمضى من الحديد!!

وواقعة كهذه كانت كفيلة بأن تورث اليقين بكل ما أخبر رسول الله ﷺ في قلوب الصحابة ، وتدعوهم إلى طاعته في كل أمر ؛ ولو كان في ظاهره شاقًا أو مستحيلاً ، فكلما شاهد الصحابة هذا السيف يتلألأ في يد **عكاشة** ؛ ذكروا أنه مولود من جذع شجرة!! فخرَّت قلوبهم ساجدة لله وانطلقوا يتنافسون في تنفيذ الأوامر النبوية في ثقة وطمأنينة لا يعتريهما أدنى ذرة من شك .

(3) اليقين في قدرة الله :

إن تتبع كيف أنقذ الله أنبياءه ورسله وكيف أمدَّهم بعونه وتأييده تزرع في القلب اليقين بقدرة الله وأنه لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وأن قوانين المادة وطبيعتها تتعطل أمام إرادة الخالق ، وأن هذا الكون العظيم بكل ما فيه خاضع لإرادة الله وحده ومشيئته ، وهذه بعض نماذج قصَّها القرآن :

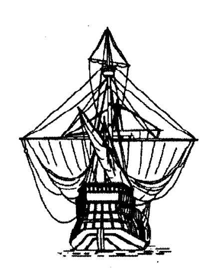
* فقد أبطل الله خصائص النار من أجل **إبراهيم** عليه السلام يوم أن ألقاه قومه في النار ؛ حتى قيل أن النار يومها لم تنضج طعاما ولم تحرق متاعا صيانة **لإبراهيم** ، وكان الله قادرًا على أن ينصر نبيه بطريقة أخرى من إمطار مطر أو حتى إرسال ملك ، ولكنه أراد لنا أن نرضع من اليقين رضعات مشبعات حتى نشب كاملي الإيمان ، فنصره بهذه المعجزة ، وفي ذلك قال تعالى : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء : 68-69] .



* ومع نبي الله **موسى** ﷺ رأينا العجب ، فقد غيَّر الله خصائص الماء كما ألغى خصائص النار من قبل ، فسيولة الماء تحولت صلابة ، وألقى **موسى** عصاه في البحر فما غاصت ، بل شقت طريقا ، وشكَّل الماء جبلا ضخما بل جبلين بينهما طريق عبر منه **موسى** والمؤمنون معه ، ثم أتبعهم فرعون وجنوده ، وعندها يعيد الله للماء خصائصه الأولى سائلا هادراً ليغرق فرعون وجنوده. قال تعالى : ﴿ **فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ** ﴾ [الشعراء : 63] .

* ويستسقي **موسى** لقومه بعد أن أصابهم العطش وأوشكوا على الهلاك ، فيوحي الله إليه أن يضرب الحجر بنفس العصا ، ميت يضرب ميتا ليخرج الله من بينهما ماء هو سر الحياة : ماء زُلالاً سائغًا للشاربين ، ولماذا لم يمطرهم الله بدلاً من ذلك بغيث يشربون منه؟! أو يخرج لهم عين ماء عذبة تروي؟! إنها جرعات اليقين تزرع في أقسى القلوب البشرية وهي قلوب بني إسرائيل عساها تلين وهيهات!! قال عز وجل : ﴿ **وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾ [البقرة : 60].

* ونموذج آخر كذلك يضرب فيه ميت ميتا فتكون الحياة ، وذلك حين يُقتل رجل من بني إسرائيل ويجهلون قاتله ، فيرشدهم الله إلى القاتل بطريقة تحوِّل أقسى القلوب إلى أخشع القلوب ، فأوحى إليهم أن اذبحوا بقرة ، وخذوا بعضها الميت واضربوا به جسد الميت فسيحيا!! ويخبركم عن قاتله ، ثم يرجع ليموت من جديد ، وقد كان!! ﴿ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾ [البقرة 72-73].



الثمرة .. هات الثمرة!!

وثمرة اليقين بقدرة الله هى الاعتماد عليه وحده ، وصدق التوكل عليه والافتقار له ، وعدم الوقوف إلا على بابه ، وامتلاء القلب بردًا وسلامًا إذا أحاطت به المحن ، وانشراح الصدر عند الشدائد ، واستقبال الصعاب بثقة من المدد الإلهي والتأييد الرباني ، وعندها يأتي الفرج.

وكلما زاد يقين العبد في قدرة الله كلما تدخَّلت هذه القدرة معه لتفعل الأعاجيب وتُدهش العقول ، وتأملوا قصة **خالد بن الوليد** رضي الله عنه لما شرب السمَّ!!.

فقد روى التاريخ أنه كان مع أحد أعدائه وهو **عمرو بن عبد المسيح بن بقيلة** خادم معه كيس فيه سم ، فأخذه **خالد** ونثره في يده وقال : لم تستصحب هذا؟ قال : خشيت أن تكون على غير ما رأيت ، فكان أحب إلي من مكروه أدخله على قومي. فقال **خالد** : لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها ، وقال : " بسم الله خيرَ الأسماء .. رب الأرض ورب السماء الذي لا يضر مع اسمه داء .. الرحمن الرحيم " ، فابتلع **خالد** السم ، فقال **عمرو** : والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم ؛ ما دام أحد منكم هكذا.

لم يحدث السم أثره في **خالد** ، ولم يوعك أو يمرض أدنى مرض مع أن **عمرو بن عبد المسيح** كان قد أعد هذا السم للانتحار ، فلماذا خاب مفعوله مع **خالد** وما خاب مع أعدائه؟! ولماذا ضاع أثره مع **خالد** دونه من المسلمين؟! إنها شدة اليقين وقوة الثقة في القدرة الإلهية يصاحبها الاعتقاد الجازم بالتأييد الرباني ، وبذا غلبت قوة اليقين ضراوة السم.

(4) اليقين بالموت:

وكيف لا توقن بالموت وهو يختطف كل يوم منك صديقًا أو حبيبًا ، أو جارًا أو قريبًا ، ألم تسمع : ﴿ وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: 67] ، فهو الحال المرتحل ، الحالُّ على بيت كل ميت المرتحل إلى بيت جاره ، وها هي كتائب الأموات تودِّعك كل يوم وتنتظرك حتى تلحق بها غدا أو بعد غد.

وهاك وصية مُحبٍّ لك لا يريد منك جزاءًا ولا شكورًا هو **مالك بن دينار** [ت: 130] الذي أدلي بدلوه في بئر اليقين ليُخرج لنا هذا المثل الجميل ؛ يوضِّح به هذا المعنى :

" نحن رهائن الأموات ، وهم مُحْتَبَسون حتى تُرد إليهم الرهائن ، فيُحشرون جميعاً" ، ثم غشي عليه "[1] .

وكيف لا توقن بالموت وأنت تموت كل يوم!! وروحك تُنزع منك كل ليلة ثم تُردُّ إليك مع طلوع الفجر ، وكأن الله يعطيك روحك قطعة قطعة ويُمدُّك بعمرك يومًا بيوم، وإذا كان الله قد وهب لك روحك اليوم فما الذي يضمن أن يستمر عطاؤه غدا؟!

وهذا هو الذي أخاف أبا **محمد حبيب الفارسي** وأبكاه ، فعن **إسماعيل بن زكريا** وكان جار أبي **محمد حبيب الفارسي** قال :

كنت إذا أمسيت سمعت بكاءه ، وإذا أصبحت سمعت بكاءه فأتيت أهله ، فقلت : ما شأنه يبكي إذا أمسى و يبكي إذا أصبح ؟! فقالت لي : "يخاف والله إذا أمسى أن لا يصبح ، وإذا أصبح أن لا يمسي "[2] .

وليس بالبكاء وحده يغرس في قلوبنا اليقين بالموت بل بإجراءات عملية يؤديها كل يوم، فيوصي امرأته صبيحة كل يوم :

إذا متُّ في اليوم فأرسلي إلى فلان يغسِّلني وافعلي كذا ، واصنعي كذا ، فقيل لامرأته أرأى رؤيا ؟! قالت : هذا يقوله في كل يوم[3] .

لتنسكب موعظته كالماء البارد على نفوس طال رقادها وأرواح فضحها سباتها .

ومُشيِّدٌ دارًا ليسكن داره	**سكن القبور وداره لم يسكن**

آه .. لو أيقن الناس بالموت وما بعد الموت ، ولو انكشف عنهم الغطاء فرأوا أحوالهم في قبورهم لنفَوْا عن أنفسهم صفة الجهل . . تلك الصفة التي وصف بها الشاعر المؤمن من فقد اليقين بالموت فقال :

جهولٌ ليس تنهاه النواهي	**ولا تلقاه إلا وهو ساهي**
يُسرُّ بيومه لعبًا ولهوا	**ولا يدري وفي غده الدواهي**
مررتُ بقصره فرأيتُ أمرا	**عجيبا فيهُ مزدَجَر وناهي**
بدا فوق السرير فقلتُ: من ذا ؟	**فقالوا : ذلك الملك المُباهي**

---

(1) حلية الأولياء 371/3 .

(2) قصر الأمل ص59 فقرة رقم :63 . أبو بكر بن أبي الدنيا . ط دار ابن حزم .

(3) السابق ص60 فقرة رقم : 64 .

رأيتُ الباب أسْـــوَد والجواري يَنُحْن وهنّ يكسـرن المــلاهي

تبيَـــنْ أيّ دار أنــت فيـــها ولا تسـكن إلـيها وادرِ ما هي

أخي الحبيب .. اعتبر بمن سبقك ولا يخدعنَّك السراب ، وخطِّط للدار التي لاموت فيها بل الخلود ، وازرع في الدار التي ما خلقها الله إلا للبذل المحمود ، لتحصد يوم الحصاد ثمر الندى والجود .

أخي .. غادر بيتك قبل أن يغادرك ، واسترض ربك قبل أن تقابله ، واعمر قبرك بصالح عملك قبل أن تنزل إليه ، واعتبر بالقصة المتكرِّرة آلاف المرات ومع ذلك لا ينتفع بها الأكثرون :

لم يُمَتَّعْ بالذي كـان حوى من حطام المال إذ حلَّ الأجل

إنما الدنيا كظل زائـــل طلعت شمسٌ عليه فاضمحل

وإن كان طول البقاء قد طمس ملامح اليقين في قلبك ، فتذكر هذه الكلمات جيدا :

" الشيب أذان والموت إقامة ولست على طهارة ، العمر صلاة والموت تسليم "(1) .

موعد إقلاع الموقنين

لله دَر **أبي مسلم الخولاني** [ت : 62] من موقن موغل في درب اليقين عريق النسب فيه . . . . عُرِف عنه عبادته ومداومته على صيام النفل في كبر سنه ، فقال له قائل حين كبر و رقَّ : لو قصُرتَ عن بعض ما تصنع ، فقال : أرأيتم لو أرسلتم الخيل في الحلبة ، ألستم تقولون لفارسها : دعها وارفق بها حتى إذا رأيتم الغاية لم تُسبقوا منها شيئا ؟ قالوا : بلى . قال : " فإني قد أبصرت الغاية ، وإن لكل ساعة غاية ، وغاية كل ساعة الموت ، فسابق و مسبوق "(2) .

إن لم تعتبر بحال أخيك **أبي مسلم** ، فاعتبر يا أخي بحال الطائر الذي أدهشنا **ابن الجوزي** [ت : 597] بذكر حاله فقال :

" هذا الطائر إذا علم أن الأنثى قد حملت أخذ ينقل العيدان لبناء العش قبل الوضع ، أفتراك ما علمت قرب رحيلك إلى القبر ؟! فهلا بعثت لك فراش تقوى ﴿ فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾[الروم : 44] (3) .

---

(1) المدهش ص 292 . ابن الجوزي . ط دار الجيل .
(2) صفة الصفوة 142/4 . ابن الجوزي . ط دار الفكر .
(3) المدهش ص 160 .

وانكشف الغطاء

عند الاحتضار ووقت الرحيل ينقلب الغيب شهادة ، وكل ما غاب عن عينيك يظهر الآن بين يديك ، وكل ما سمعت عنه حان اليوم وقت مشاهدته ، لقد رأى فرعون ما رأى موسى ، ولكن متى؟! وهو يغرق وبعد فوات الأوان ، فهل يسرُّك أن تفاجأ عند موتك بما فوجيء به عند موته ، أم توقن من الآن وقبل انتزاع روحك؟! وإليك هذه النماذج الرائعة لتساعدك في بلوغ هذه الغاية بعد أن رأت ما رأت ، وقصَّت علينا -في فرصة نادرة لاستشراف الغيب- ما وَعَت وأدركت :

* **سلمان الفارسي :**

عن **بُقيرة امرأة سلمان** رضي الله عنه أنه لما حضرته الوفاة - يعنى **سلمان** - دعاني وهو في علية (غرفة) له فيها أربعة أبواب ، فقال : افتحي الأبواب يا **بقيرة** ، فإن لي زوارًا لا أدرى من أي هذه الأبواب يدخلون عليَّ ، ثم دعا بمسك له ، فقال : أديفيه (بليه بالماء واخلطيه) في تنور ففعلتُ ، ثم قال : انضحيه حول فراشي ثم انزلي فامكثي ، فسوف تطلعين على فراشي ، فاطلعت فإذا هو قد أخذت روحه ، فكأنما هو نائم على فراش[1] .

* **أبو بكر بن حبيب :**

قال لأحد أصحابه عند موته : انظر هل ترى جبيني يعرق ؟ قال : نعم ، فقال : الحمد لله . . هذه علامة المؤمنين (**المؤمن يموت بعرق الجبين**)[2] ثم بسط يده عند الموت وقال :

ها قد مددت يدي إليك فردها ... بالفضل لا بشماتة الأعداء[3]

* **أبو علي حسن الغلاس :**

طلب ماءً عند موته فشرب وقال : لقد أعطاني ما يتنافس فيه المتنافسون[4] .

* **الحسن البصري :**

أغمي عليه عند موته ثم أفاق فقال : لقد نبَّهتموني من جنات وعيون ومقام كريم[5] .

---

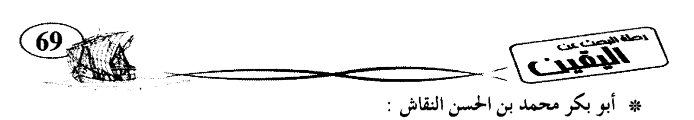
(1) حياة الصحابة 429/3 - الكاندهلوي- ط دار القلم .

(2) صحيح : رواه ابن ماجة عن ابن بريدة رضي الله عنه عن أبيه كما في صحيح ابن ماجة رقم : 1188 .

(3) الثبات عند الممات ص 62 . ابن الجوزي . ط مكتبة القرآن .

(4) السابق ص 61 .

(5) وفيات الأعيان 72/2 .



* أبو بكر محمد بن الحسن النقاش :

جعل عند موته يحرِّك شفتيه ثم نادى بأعلى صوته : ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ [الصافات: 61] . . ردَّدها ثلاثا[1].

(5) اليقين بالقدر:

قال رسول الله ناصحاً أبي بن كعب رضي الله عنه [ت: 30] :

" ولو أنفقتَ مثل أحُد ذهبا في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا ... دخلت النار " [2].

ومن أهمية اليقين بالقدر كان وصية المودِّعين من الصحابة لأبنائهم قبل موتهم وساعة رحيلهم ، فعن عطاء بن أبي رباح [ت: 114] قال : سألت **الوليد بن عبادة بن الصامت** [ت: 70] : كيف كانت وصية أبيك حين حضره الموت؟! قال : جعل يقول : يا بني اتق الله ، واعلم أنك لن تتقي الله ولن تبلغ العلم حتى تعبد الله وحده ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قلت يا أبت!! كيف لي أن أؤمن بالقدر خيره وشره؟! قال : تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيب ، فإن مت على غير هذا دخلت النار . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب قال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان و ما هو كائن إلى الأبد** »[3].

ويشتمل اليقين بالقدر على :

أ- اليقين بالرزق:

قال رسول الله ﷺ : «**إن روح القدس نفث في رُوْعي: إن نفسا لا تموت حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإن الله لا يُدرك ما عنده إلا بطاعته**»[4].

أخي الحبيب. . اعلم أن الله لو قسم لك رزقا وأردت أن تهرب منه ما استطعت منه

---

(1) الثبات عند الممات ص62.

(2) صحيح : رواه أحمد عن زيد بن ثابت وأحمد و ابن ماجة عن أبي بن كعب رضي الله عنه كما في ص ج ص رقم: 5244.

(3) صحيح : رواه الترمذي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه كما في ص ج ص رقم : 2017 .

(4) حسن : رواه ابن حبان والحاكم، وحسنه الألباني فى الصحيحة رقم : 2866.

فكاكا . قال تعالى : ﴿قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: 17] . وقال رسول الله ﷺ :

«لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت، لأدركه رزقه كما يدركه الموت » [1] .

أما علمت يا أخي أن الله سبحانه قرن الرزق بالخلق فقال : ﴿خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ [الروم: ٤٠]، فدل أن الرزق من الله لا من الخلق ؛ ثم لم يكتف بالدلالة حتى وعد فقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ [الذاريات: 58]، ثم لم يكتف بالوعد حتى ضمن فقال : ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: 6]، ثم لم يكتب بالضمان حتى أقسم فقال : ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: 23] .

فمن لم يعتبر بقوله، ولم يكتف بوعده، ولم يطمئن إلى ضمانه، ولم يقنع بقسمه، فانظر كيف يكون مسلما، وإلى أي حد تدهور يقينه؟ هذه والله مصيبة المصائب ونحن عنها في غفلة عظيمة .

أتطلب رزق الله من عند غيره	وتصبح من خوف العواقب آمنا
وترضى بصرَّاف وإن كان مشركا	ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا
كأنك لم تقنع بما في كتابه	فأصبحت مسلوب اليقين مداهنا

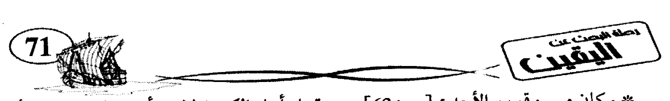
يا أخي . . إن لم ينفع معك أسلوب الترهيب فها هو زاهد العصر **أبو سليمان الداراني** يسلك معك طريقًا آخر هو طريق الترغيب ويبشرك ـ إن أنت أيقنت برزقك ـ بالأرباح التي عدَّدها لك فقال :

" من وثق بالله في رزقه زاد حسن خلقه، وأعقبه الحلم، وسخَتْ نفسه، وقلَّت وساوسه في صلاته " [2] .

رزقك مضمون مضمون

* كان **علي بن أبي طالب** [ت: 40] رضي الله عنه يقول: إن أرجى ما يكون الرزق إذا قالوا: ليس في الدنيا دقيق ! !

(1) حسن: رواه أبو نعيم في الحلية عن جابر رضي الله عنه، وحسنه الألباني في ص ج ص رقم: 5240 .
(2) نزهة الفضلاء 865/2 .



* وكان **مسروق بن الأجدع** [ت: 62] سيد قراء أهل الكوفة لا يعبأ إذا شكت له امرأته نفاد الطعام لعياله، فيجيبها مبتسما: والله ليأتينهم الله برزق عندما يسمعها تقول: ليس عندهم طعام ولا درهم.

* ولما شكا رجل إلى **إبراهيم بن أدهم** [ت: 161] كثرة عياله، صعقه إبراهيم ببرق وعظه قائلاً:

يا أخي.. انظر: كل من في منزلك ليس على الله رزقه فحوّله إلى منزلي!

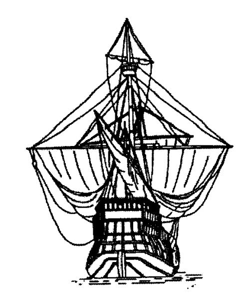
* ويتحدى **ميمون بن مهران** [ت: 274] كل شاكّ في رزقه مكذِّب لوعد ربه فيقول: "يقول أحدهم: اجلس في بيتك، وأغلق عليك بابك، وانظر هل يأتيك رزقك؟ نعم والله، لو كان له مثل يقين مريم وإبراهيم عليهما السلام، وأغلق بابه وأرخى عليه ستره".

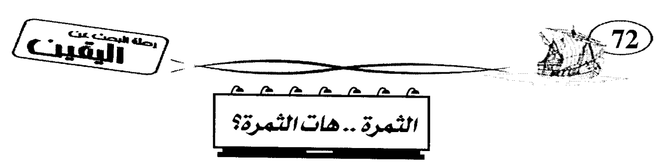
* بل يصف **أحمد بن حنبل** [ت: 241] أحلى أيام حياته فيقول:

"أسرُّ أيامي إليَّ يوم أصبح وليس عندي شيء".

وهو في هذا غير مدّع أو مبالغ، وإنما كان هذا اليوم هو أسر أيامه إليه لأنه اعتمد فيه بالكلية على الله، أما في غير هذا اليوم فربما كان اعتماده على رغيفه، واطمئنانه بسبب جود زاده ومؤونته.

لو كان في صخرة في البحر راسية	**صماء مخبوءة لم يُدْرَ ما فيها**
أرزاق نفس براها الله لانفلقت	**حتى تؤدِّي إليك كل ما فيها**
أو كان بين طباق السبع مسلكها	**لسهَّل الله في المرقى مراقيها**
حتى تنال الذي في اللوح خُطَّ لها	**فإن أتته وإلا سوف يأتيها**





الثمرة .. هات الثمرة؟

ومن علامات أو ثمرات اليقين بالرزق :

• **البعد عن الحسد :** فإن الموقن أبعد الناس عن حسد غيره وتمني ما في يده والتطلع إلى زهرات الحياة الدنيا ، لأنه لا يجتمع في قلب عبد يقين برزق واعتراض على تقسيم هذا الرزق ، وما أجمل قول الشاعر المحشو يقينًا :

ألا قـل لمن كان لي حاسـدا	**أتدري على من أسأت الأدب**
أسـأت علـى الله في فعـله	**لأنـك لم ترض لي ما وهـب**
فجـازاك عنـه بأن زادنـي	**وسدَّ عليك وجوه الطلـب**

• **الطهرة من أكل الحرام أو شبهة الحرام :** لأن الموقن يؤمن أن رحلة الرزق قد ابتدأت عنده قبل أن يولد ، وهو في طريقه للوصول إليه عن طريق الحلال ؛ إلا أن أصفار القلب من اليقين والظانين بالله ظن السوء يختارون ما يظنونه الأسرع ، فيأكلون الحرام ، ومن هذه صفته : لو لم يسرق لورث ، ولو لم يرتش لاغتنى ، ولو لم يمد يده إلى الحرام لأمطر عليه الحلال ، ولكنكم قوم تستَعجلون .

• **القناعة:** والقناعة هي كما قال الجنيد [ت : 297] : «ألا تتجاوز إرادتك ما هو لك في وقتك» (1) .

وحقيقة القناعة أن تترك التطلع إلى المفقود وتستغني بالموجود ، وهي حكر على الموقنين الذين يتخذونها درجة في سلم يصعدون به إلى مقام أعلى ومنزلة أسمى ؛ وهو مقام الرضا ، فإن القناعة أول الرضا .

أكْرِم ببال فتى أمسى على ثقة	**أن الـذي قسَّم الأرزاق يرزقه**
فالعـرض منه مصون لا يـدنِّسه	**والوجه منه جديد ليس يخـلقه**
إن القناعة من يحلل بسـاحتـها	**لـم يلـق في دهره شيئًا يؤرِّقه**

فعجبًا لمن يطلب رزقا هو طالبه ، ولا يطلب ما لا يُدرك إلا بطلبه وسعيه -وهو العمل الصالح -ومع هذا لا ينشده ، وقد جمع إلى جانب هذا أنه لا يشبع ، ولا يحوي قاموس ألفاظه : قد رضيت ! !

---

(1) حلية الأولياء 263/10 .

أراك يــزيدك الإثراء حرصا على الدنيـا كأنك لا تموت

فهل لك غاية إن صرت يوما إليها قلت : حسبي قد رضيت

وعكس القناعة الطمع، وكما أن القناعة بنت اليقين، فإن الطمع ابن الشك . قال **أبو بكر الوراق** : " لو قيل للطمع : من أبوك ؟! قال : الشك في المقدور، ولو قيل : ما حرفتك؟! قال : اكتساب الذل، ولو قيل : ما غايتك؟! قال : الحرمان "(1) .

وفي المقابل فإن كل من أيقن برزقه وعانق قناعته فقد استغنى بعز القناعة عن ذل الطلب، وصار أغنى الناس بشهادة النبي ﷺ : «**وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس**»(2) .

فالقناعة : المال الذي لا ينفد، والكنز الذي لا يضيع، وكل من قنع وما طمع فقد طاب عيشه كما وعد الله في كتابه : ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل : 97] .

قال جمهور والمفسرين : هي الرضا والقناعة .

اضرع إلى الله لا تضرع إلى الناس واقنع بعز فإن العز في اليأس

واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم إن الغنيَّ من استغنى عن الناس

❋ **تفريغ الهم للآخرة** : وجمع القلب على الله، وصيانة النفس من كل صارف عن الهدى، وطارد للخير، لتنفتح للعبد أبواب الجنة الثمانية عبر لطف إلهي بالغ حكى تفاصيله لنا أستاذ علم اليقين الإمام **ابن القيم** [ت : 751] في إحدي فوائده فقال :

" فرِّغ خاطرك للهم بما أُمرت به، ولا تشغله بما ضُمن لك، فإن الرزق والأجل قرينان مضمونان، فما دام الأجل باقيًا؛ كان الرزق آتيًا، وإذا سد عليك بحكمته طريقًا من طرقه؛ فتح لك برحمته طريقًا أنفع لك منه، فتأمّل حال الجنين يأتيه غذاؤه- وهو الدم- من طريق واحد وهو السرَّة، فلما خرج من بطن الأم وانقطعت تلك الطريق؛ فتح له طريقين اثنين وأجري له فيهما رزقًا أطيب وألذ من الأول، لبنًا خالصًا سائغًا، فإذا تمت مدة الرضاع وانقطعت الطريقان بالفطام فتح طرقًا أربع أكمل منها : طعامان وشرابان، فالطعامان من الحيوان والنبات، والشرابان من المياه والألبان وما يضاف إليهما من المنافع والملاذ، فإن مات انقطعت عنه هذه الطرق الأربعة، لكنه سبحانه فتح له - إن كان سعيداً- طرق، وهي أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها يشاء " (3) .

(1) حلية الأولياء 236/10 .

(2) حسن : رواه أحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه كما في ص ج ص رقم : 100 .

(3) الفوائد 58 .

وإن التأمل في تصاريف الزمان ، ومتابعة مسلسل الحياة اليومي يشهد لحتمية اليقين بأقدار الله والتسليم لها وتطليق القلق والخوف على الرزق ، كما تعلَّم ذلك شاعر دقيق الملاحظة ماضي البصيرة فقال :

ألا رُبَّ بـاغٍ حـاجة لا ينـالها وآخـر قـد تُقضـى له وهـو آيـس

يحـاولها هـذا وتُقـضى لغـيره وتـأتي الـذى تُقضى له وهو جالـس !!

ب- اليقين بالأجل:

يروي الشيخ **عائض القرني** أن شابًا في دمشق حجز ليسافر ، وأخبر والدته أن موعد إقلاع الطائرة في الساعة كذا وكذا، وعليها أن توقظه إذا دنا الوقت، ونام هذا الشاب، وسمعت أمه الأحوال الجوية في التلفزيون، وأن الرياح هوجاء، وأن الجو غائم، وأن هناك عواصف رملية، فأشفقت على وحيدها وبخلت بابنها، فما أيقظته أملاً في أن تفوته الرحلة؛ لأن الجو لا يساعد على السفر، وخافت من الوضع الطاريء، فلما تأكدت أن الرحلة قد فاتت، وقد أقلعت الطائرة بركَّابها، أتت إلى ابنها توقظه فوجدته ميتًا في فراشه [1]، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [الجمعة: 8].

وحين ينتهي الأجل يكون الموت بأتفه سبب بل وأطرف الأسباب كما ذكر الشيخُ **علي الطنطاوي** [ت: 1419] في سماعاته ومشاهداته :

«أنه كان بأرض الشام رجلٌ له سيارةُ لوري، فركب معه رجلٌ في ظهر السيارة، وكان في ظهر السيارة نعشٌ مهيَّأ للأموات، وعلى هذا النعش شراعٌ لوقت الحاجة، فأمطرت السماء وسال الماء فقام هذا الراكب فدخل في النعش وتغطَّى بالشراع، وركب آخر فصعد في ظهر الشاحنة بجانب النعش، ولا يعلم أنَّ في النعش أحدا، واستمر نزول الغيث، وهذا الرجل الراكب الثاني يظنُّ أنه وحده في ظهر السيارة، وفجأة يخرج هذا الرجل يده من النعش، ليرى: هل كفَّ الغيثُ أم لا؟ ولما أخرج يده أخذ يلوِّح بها، فأخذ هذا الراكب الثاني الهلع والجزع والخوف، وظنَّ أن هذا الميت قد عاد حيًا، فنسي نفسه وسقط من السيارة، فوقع على أمِّ رأسه فمات» [2].

---

(1) لا تحزن ص 341. عائض بن عبد الله القرني. ط مكتبة ابن تيمية.
(2) لا تحزن 341، 242 .

الثمرة .. هات الثمرة!!

لن أخبر أنا بالثمرة بل أخبر بها سيد الخلق أجمعين رسول الله ﷺ الذي قال :

« **ألا لا يمنعنَّ أحدكم رهبةُ الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهد** » (1) .

ثمرة اليقين بالأجل إذن : الشجاعة وتطليق الجبن والخور ، وقد فقهت أعرابية ما جهلناه وهي ما تعلَّمت حرفا ولا قرأت سطرا ، وذلك لما شمت بها الحجاج وسخر منها بعد أن قتل ابنها ، فأجابته في قوة يقين واستغراب من عدم فهمه لبدهيات الدين وقالت : لو لم تقتله مات ! !

ويشهد لهذا قصة صلاح وقيس وعمر ! !

يقول الأستاذ الراشد محمد أحمد الراشد وهو يثب بنا وثبة من وثبات كتابه المنطلق :

" هذا داعية المنصورة بمصر صلاح الشربيني رحمه الله ، لم يُمته رصاص الإنكليز لما قاتلهم على قناة السويس ، ولكنه مات على سرير مستشفى بعدَ أيام الحج بمكة ، وهذا داعية البصرة قيس القرطاس لم يمته عذاب السجن الرهيب ، ولكنه مات مخنوقا بالغاز في حمام بعد خروجه من السجن بأيام ، وهذا داعية غزة عمر أبو جبارة رحمه الله ، صاحب الدعوة منذ صباه ودخل لسجن فلم يمته تعب البذل اليومي ومات من سقطة بسيطة " (2) .

(6) اليقين بالجزاء :

بين المهاجرين والأنصار

كيف يقعد قلب عن البذل والعطاء بعد ما أيقن بالجزاء ؟ ! ولهذا فإن المهاجرين على ما نزل بهم من بلاء ونهكة الأعراض وبذل الدماء وهجرة الأوطان وقطع وشائج القربى في سبيل الله أدوا ما عليهم تجاه الله ورسوله ؛ طيبة بذلك نفوسهم ، ثقة منهم بموعود ربهم ، ولأنهم السابقون في البذل والنصرة وبالتالي في اليقين ؛ فقد كافأ الله فقراءهم بكونهم أول من يدخل الجنة وذلك قبل الخلق أجمعين ليناموا فيها أربعين سنة ! !

قال ﷺ : « **أول زمرة تدخل الجنة من أمتي فقراء المهاجرين ؛ يأتون يوم القيامة إلى باب الجنة، ويستفتحون فيقول لهم الخزنة : أو قد حوسبتم؟ قالوا : بأي شيء نحاسب ، وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا في سبيل الله حتى متنا على ذلك؟ فيُفتح**

---

(1) صحيح : رواه أحمد في المسند ، وقال الأرناؤوط : إسناده صحيح .
(2) المنطلق ص 181-182 . ط دار المنطلق عام 1415هـ.

لهم فيقيلون فيها أربعين عاما قبل أن يدخلها الناس »[1] .

لكن . . لماذا فقراء المهاجرين بالذات؟! والجواب : لأنهم جمعوا إلى جانب تضحيات الهجرة تبعات الفقر وضغوطات الفاقة ، فهم أعظم تضحية وأكثر بذلا ، وتأمل في الحديث السابق قوة حجتهم يوم القيامة في مواجهة خزنة الجنة ، وفخرهم المستحب، وإعجابهم هناك بما قدَّموه هنا ، مما تلمحه في بشارة النبي ﷺ لهم وكأنه ينقل وقائع الأحداث مباشرة هناك من على أبواب الجنة!!

لكن . . هل يترك الأنصار إخوانهم المهاجرين يسبقونهم في مضمار اليقين؟!

كلا والله ، واسمعوا حين انطلق رسول الله ﷺ مع عمه **العباس** إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة ، فقال قائلهم: سل يا محمد لربك ما شئت ، ثم سل لنفسك بعد ذلك ما شئت ، ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله وعليكم إذا فعلنا ذلك . قال : « **أسألكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأسألكم لنفسي وأصحابي أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم** » . قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك؟! قال : « **لكم الجنة** »[2] .

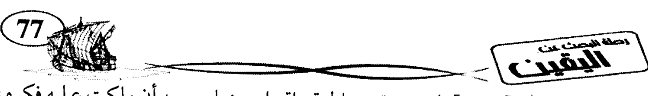
وإن كنت تريد التأكُّد من قدر السلعة لأنك لم تعاينها قبل الشراء ، فاعلم أن (قدر السلعة يُعرف بقدر مشتريها ، والثمن المبذول فيها ، والمنادي عليها ، فاذا كان المشتري عظيما ، والثمن خطيرا ، والمنادي جليلا ، كانت السلعة نفيسة)[3] .

إنها الجنة واليقين بالجنة والشوق إلى الجنة ، وهو الذي ألهب قلوب العاشقين ليقدِّموا ثمن المحبة ورسم الدخول ولو كان الروح ، فهذا **عمار بن ياسر** رضي الله عنه [ت : 37] يوم اليمامة وهو واقف على صخرة ؛ قد أشرف يصيح : " يا معشر المسلمين ، أمن الجنة تفرون؟! أنا **عمار بن ياسر** ، أمن الجنة تفرون؟! أنا **عمار بن ياسر** ؛ هلم إلي " ، وكأن الموتَ مفتاح دخول الجنة أو أقصر الطرقَ إليها أو أسهل طريق ، واسمعه مرة أخرى يهتف : " الجنة تحت ظلال السيوف ، والموت في أطراف الأسنة ، وقد فُتحت أبواب الجنة ، وتزيَّنت الحور العين ، اليوم ألقى الأحبة محمدا وصحبه " ، ثم حمل حَتى قُتل "[4] .

وسير الصحابة تمتليء بهذه اللوحات الإيمانية الرفيعة التي يورث النظر إليها اليقين في قلب المتأمِّل وذلك كلما أطال النظر وأعاده .

---

(1) صحيح : رواه الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان عن **ابن عمرو** كما في صحيح الجامع رقم : 96 .
(2) البداية والنهاية 163/3 بتصرف .
(3) الفوائد ص 75 .
(4) الخبران في كتاب حياة الصحابة 293، 292 بتصرف . ط دار ابن حزم وبيت الأفكار الدولية .



فأنس بن النضر رضي الله عنه [ت : 3] بلغ من يقينه بالجنة واقترابه منها بروحه أن ملكت عليه فكره، حتى شم رائحتها يوم أحد فلم يصبر عنها فقاتل حتى قُتل .

وسعد بن خيثمة رضي الله عنه [ت : 2] البار بأبيه يتوقف بره بأبيه عندما يتعلّق الأمر بالجنة ، فعندما يطلب منه أبوه أن يقعد عن القتال قائلا : لابد لأحدنا أن يقيم ؛ يقول : لو كانت غير الجنة لآثرتك بها ، إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا .

وحرام بن ملحان رضي الله عنه [ت : 3] يصيح فور أن يُقتل : فزت ورب الكعبة!! وكأنه رأى الجنة على طرف السيف الذي قُتل به!!

وعمرو بن الجموح رضي الله عنه [ت : 3] يصرُّ على القتال حتى بعد أن عذره الله بعرجته طلبا للنزهة في أرجاء الجنة قائلا : أحب أن أطأ بعرجتي الجنة .

وأبو الدرداء رضي الله عنه [ت : 32] يشتكي فيذكّره مرضه بالرحيل ، والرحيل يدفع النفس إلى أن تفكّر إلى أين ، وحين يعوده أصحابه في مرضه ، ويظنونه مريضا كأي مريض؛ يحاولون التهوين عليه والوقوف إلى جواره فيسألونه : ما تشتهي؟! فيقول : أشتهي الجنة!!

وهل دفعهم لهذا غير اليقين والشوق الذي قاد إليه اليقين؟! واسمعوا حال عاشق من أمثال **ابن الجوزي** [ت : 597] حين باح بحبه ، وأفهمنا بعض أسرار حماسة صحابة رسول الله ﷺ وشدة اندفاعهم نحو الجنة :

" والله إني لأتخيَّل دخول الجنة ودوام الإقامة فيها من غير مرض ولا بصاق ولا نوم ولا آفة تطرأ ، بل صحة دائمة وأغراض متصلة لا يعترضها منغِّص ، في نعيم متجدد في كل لحظة ، إلى زيادة لا تتناهى ، فأطيش ويكاد الطبع يضيق عن تصديق ذلك ، لولا أن الشرع قد ضمنه ، ومعلوم أن تلك المنازل إنما تكون على قدر الاجتهاد ها هنا ، فواعجبا من مضيِّع لحظة فيهَا ، فتسبيحةٌ تغرس له في الجنة نخلة أكلها دائم وظلها ، فيا أيها الخائف من فوْت ذلك شجِّع قلبك بالرجاء ، ويا أيها المنزعج لذكر الموت تلمَّح ما بعد مرارة الشربة من العافية ، فإنه من ساعة خروج الروح ، لا بل قبل خروجها تنكشف المنازل لأصحابها "(1) .

وعلى حسب درجة اليقين تكون سرعة السير والانطلاق نحو الجنة ، فمن ماش، ومن مهرول، ومن راكض . هكذا رآهم الزاهد الواعظ أبو زكريا **يحيى بن معاذ** [ت : 285] حين لمحهم من بعيد فقال : " إنما ينبسطون إليه على قدر منازلهم لديه "(2) .

فلكل درجة اجتهاد منزلة في الجنة ، وتتفاوت الدرجات بتفاوت الهمم والعزائم التي ولَّدها اليقين .

---

(1) صيد الخاطر 331 .

(2) حلية الأولياء 10/ 53 .

اعتذار الظلمة

ومع اليقين بحسن ثواب المتقين وهو الجنة ؛ يقف على الضفة الأخرى من نهر اليقين بالجزاء : اليقين بسوء عاقبة الظالمين وهول جزاء المسيئين ، ولو علم الظالم ما أعدَّ الله له من الجزاء لقبَّل يد المظلوم يرجوه أن يعفو عنه ويقبل عذره ، قبل أن يأتي يوم ﴿ **يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ** ﴾ [غافر : 52] .

واسمعوا معي إلى **سعيد النورسي** [ت : 1379] يخاطب ظالميه من عَل ويتحدث إليهم من موضع المنتصر ، وهل انتصار مثل الثبات على الحق واليقين بموعود اللّه ؟ يخاطبهم – رحمه الله – خطاباً يبث الرعب في قلوبهم ليقشع غشاوة غطَّت أبصارهم ، فيقول لهم :

" إنكم لن تعيشوا بعد قتلي فإن يدا قاهرة ستأخذكم من دنياكم التي هي جنتكم وأنتم مغرمون بها ، وتطردكم عنها وتقذف بكم فوراً إلى ظلمات أبدية ، وسيُقتل بعدي رؤساؤكم الذين تذمروا أو طغوا ويرسلون إليَّ وسأمسك بخناقهم أمام الحضرة الإلهية ، وسآخذ حقي منهم بإلقاء العدالة الإلهية إياهم في أسفل سافلين أيها الشقاة الذين باعوا دينهم وآخرتهم بحطام الدنيا .

إن كنتم تريدون أن تعيشوا حقا فلا تتعرَّضوا إليَّ ولا تمسوني بسوء ، وإن تعرَّضتم فاعلموا أن ثأري سيؤخذ منكم أضعافًا مضاعفة . . اعلموا هذا جيداً ولترتعد فرائصكم ، وإني آمل من رحمة الله تعالى أن موتي سيخدم الدين أكثر من حياتي ، وأن وفاتي ستنفلق على رؤوسكم انفلاق القنبلة وستشتت رؤوسكم وتبعثرها ، فإن كانت لكم جرأة فتعرَّضوا إلي ، فلئن كان ما تفعلونه بي لتعلمن أن لكم ما تنتظرونه من عقاب ، أما أنا . . . فسأتلو بكل ما أملك من قوة هذه الآية الكريمة إزاء جميع تهديداتكم :

﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾ " [آل عمران : 173] (1) .

وإن كان **النورسي** قد بثَّ الرعب في قلوب الظالمين بقوله ، فإن **نعيم بن حماد** [ت : 228] يؤثر الفعال على الكلام ، فيفعل فعلا عجيبا غاية في العجب يُسفر عن يقين عجيب .

كان رحمه الله قد أخذ في أيام المحنة سنة ثلاث أو أربع وعشرين ومائتين ، وألقوه في السجن بسامراء فلم يزل محبوسا بها ، حتى مات في السجن سنة ثمان وعشرين ومائتين ، فجُرَّ بقيوده وألقي في حفرة ، ولم يُكفَّن ولم يُصلَّ عليه رحمه الله ، وكان رحمه الله أوصى أن يدفن في قيوده ، وقال : " إني مُخاصم !! " (2) .

---

(1) المكتوبات ص557 . ترجمة إحسان قاسم الصالحي . دار سوزلار للنشر . القاهرة .

(2) مناقب أحمد بن حنبل ص483 . ابن الجوزي . ط دار الآفاق الجديدة .

الظالم المسكين

مساكين أنتم معاشر الظالمين ، وتستحقون الشفقة ممن أيقن بجزاء المعتدين وصدّق بعاقبة المتجبرين وسوء منقلب الطغاة من أمثال عابد الكوفة الإمام التابعي القدوة **إبراهيم بن يزيد النخعي** [ت : 96] الذي قال :

" إن الرجل يظلمني فأرحمه "(1).

يُردِّد ما سبق وقاله الزاهد الورع **محمود الورّاق** [ت : 225] شعرا :

إنــي وهبتُ لظالمي ظلمي	**وغفرتُ له ذلك على علمـي**
ورأيتُـه أسـدى إليَّ يـــداً	**فأبان منه بجهله حلمـــــي**
رجَعتْ إســـاءته عليَّ له	**حُسنًا فعاد مُضـاعَف الـجُرم**
وغدوتُ ذا أجر ومحمدة	**وغدا بكسب الذمِّ والإثـــم**
فكأنما الإحسان كان لـــه	**و أنا المسيء إليه في الحُكـم**
ما زال يظلمني وأرحمـه	**حتى بكيتُ لـه مـن الظلـم**

فينظر المؤمن للظلم نظرة مختلفة ويصير في نظره كما كان في نظر أورع الناس في زمانه **الفضيل بن عياض** [ت : 187] الذي رأى في الظلم هدية يُبهر الله بها عبده عندما يلقاه في الجنة ، فقال رحمه الله :

" إذا أراد الله أن يتُحف العبد سلَّط عليه من يظلمه "(3).

وإليكم أيها المظلومون سلوى يبعثها إليكم عبر مئات السنين **أبو عثمان المغربي** [ت : 373] لتضمِّد الجراح وتبعث الأمل :

" وإنما اختبرك في قربه بعدوه ، لينظر كيف صبرك على عدوه ، فإن صبرت على بلوى عدوه جللك بعلمه ، وحباك بوصله ، وأسكنك في جواره ، ونعَّمك بمشاهدته ، ولذَّذك بذكره ، وأوصلك بمعرفته ، وجعلك إماما يُقتدى به ، ونجاة لعباده ، ورحمة لهم في أرضه ، وجعل محبتك في قلوبهم ، وجعل أنسهم في رؤيتك ، وجعل لك حلاوة في قلوبهم "(4).

(1) نزهة الفضلاء 2/ 580.
(2) العقد الفريد 2/ 285.
(3) الحلية 8/ 104.
(4) طبقات الصوفية ص481.

لله درهم . . يقتدون في ذلك بأبي هريرة رضي الله عنه [ت: 58] غراس التربية النبوية الفذَّة التي بثت اليقين في قلوب الصحابة ليجري في حياتهم مجرى النَّفَس . كان له أمة زنجية فرفع عليها السوط يوما ، فقال :

" لولا القصاص لأغشيتك به ، ولكن سأبيعك ممن يُوفّيني ثمنك . . اذهبي فأنت لله عز وجل "(1).

غـــريبــــة!!

هي حال من اجتمع له التصديق بالجنة والنار وتخلف عنه العمل ، وقد سبق وأن استغرب هذا الأمر الإمام **ابن القيم** [ت: 751] وسأل السؤال نفسه ، وبحث عن الأسباب ، ثم أجاب على نفسه قائلا :

" فإن قلت كيف يجتمع التصديق الجازم الذى لا شك فيه بالمعاد والجنة والنار ويتخلف العمل ؟! وهل في الطباع البشرية أن يعلم العبد أنه مطلوب غدا إلى بين يدي بعض الملوك ليعاقبه أشد عقوبة أو يكرمه أتم كرامة ؛ ويبيت ساهيًا غافلاً لا يتذكر موقفه بين يدي الملك ، ولا يستعد له ، ولا يأخذ له أهبة!!

قيل : هذا لعمر الله سؤال صحيح وارد على أكثر هذا الخلق ، واجتماع هذين الأمرين من أعجب الأشياء ، وهذا التخلف له عدة أسباب أحدها : **ضعف العلم ونقصان اليقين** .

ومن ظن أن العلم لا يتفاوت ، فقوله من أفسد الأقوال وأبطلها ، فإذا اجتمع إلى ضعف العلم عدم استحضاره أو غيبته عن القلب كثيرا من أوقاته أو أكثرها ؛ لاشتغاله بما يضاده ، وانضم الى ذلك تقاضي الطبع ، وغلبات الهوى ، واستيلاء الشهوة ، وتسويل النفس ، وغرور الشيطان ، واستبطاء الوعد ، وطول الامل ، ورقدة الغفلة ، وحب العاجلة ، ورخص التأويل ، وإلف العوائد ؛ فهناك لا يمسك الايمان في القلب إلا الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا "(2).

القول قول موقنين والفعل فعل ظانين ، هكذا أصبح حال الأكثرين ؛ كما قال عالم المدينة أبو حازم **سلمة بن دينار** [ت: 140] حين وعظ **سليمان بن عبد الملك** [ت: 99] قائلا له : " ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من شيء نحن فيه "(3).

(1) الزهد لابن حنبل ص221 .
(2) الجواب الكافي 23.
(3) حلية الأولياء 232/3 .

الثمرة .. هات الثمرة

قطف لنا هذه الثمرة أبو **حامد الغزالي** [ت : 505] ثم قدَّمها لنا على طبق من ذهب حين قال :

" وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الخبز إلى الشبع ، ونسبة المعاصي إلى العقاب كنسبة السموم والأفاعي إلى الهلاك ، فكما يحرص على التحصيل للخبز طلبا للشبع ، فيحفظ قليله وكثيره ، فكذلك يحرص على الطاعات كلها قليلها وكثيرها ، وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها ، فكذلك يجتنب المعاصي قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها ، فاليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين ، أما بالمعنى الثاني فيختص به المقرَّبون ، وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات ، والمبالغة في التقوى ، والتحرز عن كل السيئات ، وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ "(1) .

(7) اليقين بأسماء الله وصفاته:

عن **أبي هريرة** رضي الله عنه [ت : 58] أن رسول الله ﷺ قال : « **إن لله تسعة وتسعين اسما ، مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة** »(2) .

وإن كنا لم نر الله بذاته ، فقد تجلى سبحانه وتعالى لنا في أسمائه وصفاته ، لكن . . تُرى ما معنى و (أحصاها) ؟! هل هو حفظ اللسان فحسب؟! أم هو الغناء بها كما هو حاصل الآن في الحفلات وأماكن الاختلاط حيث ضياع الدين؟!

يقوم بالرد على هذا السؤال الإمام **الأصيلي** فيقول :

" الإحصاء للأسماء العمل بها لا عدها وحفظها ؛ لأن ذلك قد يقع للكافر والمنافق كما في حديث الخوارج يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم "(3) .

ويزيدك **ابن بطال** [ت : 449] إيضاحا وإبانة فيقسِّم الإحصاء إلى قسمين : قولي وفعلي ، فيقول رحمه الله :

" الإحصاء يقع بالقول ويقع بالعمل ، فالذي بالعمل أن لله أسماء يختص بها

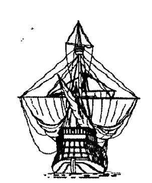
(1) إحياء علوم الدين 1/74-75 .
(2) صحيح : رواه البخاري ومسلم كما في المشكاة رقم : 2288 .
(3) فتح الباري رقم : 13/378 .

كالأحد و المتعال والقدير ونحوها ، فيجب الإقرار بها والخضوع عندها ، وله أسماء يستحب الاقتداء بها في معانيها : كالرحيم والكريم والعفو ونحوها , فيستحب للعبد أن يتحلى بمعانيها ليؤدي حق العمل بها فبهذا يحصل الإحصاء العملي ، وأما الإحصاء القولي فيحصل بجمعها وحفظها والسؤال بها ولو شارك المؤمن غيره في العد والحفظ ، فإن المؤمن يمتاز عنه بالإيمان والعمل بها »[1].

فأحصاها إذن أي سلك طريق العمل بها ، فما كان يختص بالله تعالى من صفات العظمة والألوهية ، وجب على العبد الإقرار بها ، والخضوع لها ، وعدم التشبه بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد : كالرحمن والرحيم والودود واللطيف وقفنا منه عند الرغبة والطمع ، وما كان فيه معنى الوعيد وقفنا منه عند الخشية الرهبة، وهكذا يكون للموقن مع كل اسم من أسماء الله واجب عملي .

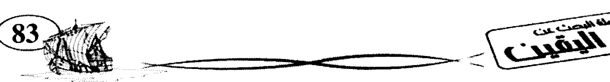
الثمرة .. هات الثمرة

لكل شيء ثمرة ، وثمرة اليقين بأسماء الله وصفاته هي معرفة الله تبارك وتعالى ، وأخبروني بالله . . كيف نعبد ربا لا نعلم عنه شيئا؟! وكيف نحبه ونحن لا نعلم صفات بره وعفوة ووده ورحمته؟! وكيف نخافه ونحن نجهل صفات انتقامه وشدته وجبروته وقوته؟! وكيف نهابه ونحن لا نعلم عن صفات عظمته وقهره وجلاله وقيوميته؟! وكيف نرجوه وقلوبنا مغيَّبة عن كونه الرزاق الوهاب المقيت؟! إننا كثيرا ما نُتعب أنفسنا في إقناع الناس عقليا بأحكام الدين الشرعية لندفعهم إلى تنفيذها ، وكأن الهداية لا تتم دون برهان فلسفي ، أو استدلال كلامي ، أو إقناع عقلي ، أو مطالعة فكرية ، غافلين عن المفتاح الذي يفتح قلوبهم للاستجابة الفورية ، وهذا المفتاح هو معرفة الله حق المعرفة حتى نعبده حق العبادة، ولا يتم هذا إلا عبر معرفة أسمائه وصفاته .



---

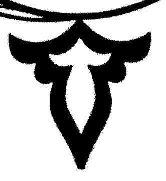
(1) السابق 378/13 .



الفصل الرابع



لا يولد اليقين
وحده في القلب إلا أن يولد معه
صبر وتوكل ورضا وخوف ، فإذا بدر من
موقن خلاف هذه المعاني دل هذا على أن
يقينه ولد ناقصا، أو أن ما توهمه يقينا لم
يكن سوى سراب خادع أو وهم واقع
أو شبهة يقين.





تَوائمُ اليَقين

(1) **الصبـــــــر:**

ويشتمل على أنواع ثلاثة يرتبط كل منها باليقين ارتباطًا وثيقًا ، وأول هذه الأنواع :

أ- الصبر على الطاعة:

ومما يعين على أداء الطاعات ويُصبِّر المرء على مشاقها : رجاء ثوابها والطمع بفضلها والتماس أجرها ، وكلما كان يقين المرء أكمل كانت مواظبته على الطاعات أفضل ، فكل انصراف عن فريضة بعد مواظبة وانقطاع عن نافلة بعد مداومة إنما يُعزى إلى ضعف اليقين .

ولو أدرك كل ظان وشاك وضعيف الإيمان ما أيقن به **محمد بن النضر** [ت : 291] من قبل لتبدَّلت أحواله من الكسل عن الطاعة إلى النشاط ، ومن الزهد في الثواب إلى الثبات عليه حتى الممات . قال -رحمه الله بما قال- :

" ما من عامل يعمل في الدنيا إلا وله من يعمل في الدرجات في الآخرة ، فإذا أمسك أمسكوا ، فيُقال لهم : ما لكم لا تعلمون؟! فيقولون : صاحبنا لاه "(1) .

وهو أعلى أنواع الصبر . قال **ابن قيم الجوزية** [ت : 751] :

" الصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل ، فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية ، ومفسدة عدم الطاعة أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية "(2) .

والصبر على الطاعة مرتبط ارتباطـًا وثيقًا باليقين ولذا جاء في وصيته لابنه : " يا بني . . لا يُستطاع العمل إلا باليقين ، ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه، ولا يفتر عامل حتي ينقص يقينه "(3) .

ومن أنواع الطاعات التي لا تُنجز إلا إذا أخذ فيها اليقين مكان الصدارة ، وهي هنا على سبيل المثال لا الاستقصاء :

(1) شعب الإيمان 513/1

(2) مدارج السالكين 156/2 .

(3) اليقين لابن أبي الدنيا ص 20 ـ دار الكتب العلمية ـ ط 1407 هـ 1987م .

(1) الأذان :

وانظر بقلبك إلى ثواب الأذان وابك على ما ضاع منك من ثواب ، فعن أبي عمارة **البراء بن عازب** رضي الله عنه [ت : 71] قال : قال النبي ﷺ :

« **إن الله وملائكته يصلون على الصف المقدَّم ، والمؤذِّن يُغفر له مدى صوته**[1] ، **ويصدِّقه من سمعه من رطب ويابس ، وله أجر من صلى معه** » [2] .

تأمل يا أخي : أي أنك إذا أذَّنت مثلا لصلاة الفجر فصلى خلفك 10 مصلين ، فكأنك قمت عشر ليالي ، لأن من صلى الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله ، وإذا أذَّنت لصلاة العشاء فصلى معك 60 مصليا ؛ فكأنك قمت الليل شهرا ، لأن من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ، وأنت - أيها المؤذِّن - الذي دللت هؤلاء المصلين على هذا الخير بأذانك .

ألا تصدِّقون . . ألا تؤمنون؟ ! كلا . . بل لا توقنون ، ولو أيقنتم لكان الحال غير ما أنتم عليه عاكفون .

لما سمع الصحابة ذلك غبطوا المؤذِّنين لعظيم ثوابهم عند الله ، وأراد كل منهم أن ينال ما نالوه من ثواب ، ولكن أنى لهم ذلك وما من مسجد إلا مسجد واحد ، فذهب رجل إلى النبي ﷺ قائلا : يا رسول الله . . إن المؤذِّنين يفضلوننا ، فقال النبي ﷺ دالا إياه على وسيلة التعويض :

« **قل كما يقولون ، فإذا انتهيت فسل تُعطه** »[3] .

آه . . لو أيقن الناس بما في الأذان من ثواب وفضل ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ، كما فعل الصحابة يوم القادسية بعد أن أصيب المؤذن فتشاحَّ الناس في الأذان ، فاختصموا إلى **سعد بن أبي وقاص** رضي الله عنه [ت : 55] فأقرع بينهم ، مما دفع الإمام **البخاري** [ت : 256] إلى أن يورد ذلك في صحيحه (**باب الاستهام في الأذان ، ويذكر أن أقواما اختلفوا في الأذان فأقرع بينهم سعد**) ، ولذا جاء في الحديث الأشمل :

« **لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا،**

---

(1) قال **الخطابي** : يريد أن المكان الذي ينتهي إليه الصوت لو يقدَّر أن يكون ما بين أقصاه وبين مقامه الذي هو فيه ذنوب تملأ هذه المسافة لغفرها الله .

(2) صحيح : رواه أحمد والنسائي كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم : 230 .

(3) صحيح : رواه أبو داود والنسائي عن **عبد الله بن عمرو** رضي الله عنه كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم : 251 .

ولو يعلمون ما في التهجير لا ستبقوا إليه ، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا »[1] .

ومعنى « **لو يعلم** » أي لو أيقنوا بما ادُّخر لهم من الثواب الجزيل مما لا يدخل تحت حصر أو عد ، فكل علم لا ينبني عليه عمل هو علمَ ناقص أو شك ظاهر ، ولو أن رجلا أخبرك أن عقربا تحت قدمك ، فقلت له : جزاك الله خيرا على نصيحتك ، وسأسعى في البعد عنه في أقرب فرصة ، دون أن تنتفض هاربا ، أتكون قد علمت؟! هذا علم وما هو بعلم ، أو فهم وما هو بيقين، ولو أيقنت حقا لقفزت وصرخت ، وفي الحديث تجهيل للمتساهلين في هذه العبادة ، وتقريع لهم بأنهم يرتابون في قول الصادق المصدوق ، وإلا كانوا أول العاملين بما يقول .

إن في الحديث تصريحا بأن الناس لو علموا ثواب الله وعاينوه لازدحموا عليه حتى يقترعوا من عظمة ما رأوا ، ولكن هذا الثواب غيب ، ومن لم يصدِّق رسول الله تحسَّر غدا حين يتراءى أهل الجنة لبعض ، ويرى ساكن أدنى درجات الجنة ساكن الفردوس الأعلى فيها .

إخواني . . أيكون حالنا كحال هؤلاء أم كحال أصحاب **عمر بن الخطاب** [ت : 23] الذي كان حريصا على اختبار منسوب اليقين في قلوب الناس ، ومواظبا على التحليل الإيماني المستمر والمراقبة الدائمة لأحوال الأمة ، والتغيرات التي قد تطرأ على كل شرائحها في علاقتها بربها ، فسأل صحابه يوما : من مؤذنوكم اليوم ؟ قالوا : موالينا وعبيدنا ، فقال : " إن ذلك لنقص كبير "[2] .

البنا يرفع البناء

وانظروا إلى الهمة العالية التي حازها **الإمام الشهيد حسن البنا** [ت : 1368] الذي فكَّر وهو مازال غلاما كيف ينال أعظم أجر من هذه العبادة (الأذان) . . أيختار أكبر مسجد فيؤذِّن فيه ليحصد أجور أكبر عدد من المصلين أم أن هناك وسيلة أذكى لنيل أجر أوفى؟!

إلى أن هداه تفكيره إلى فن من فنون كسب الحسنات هو أعظم وسيلة من وسائل استخلاص الحسنات من عبادة كعبادة الأذان ، فقال رحمه الله :

" وكنت أجد سعادة كبيرة وارتياحًا غريبًا حين أوقظ المؤذنين لأذان الصبح ، ثم أقف بعد ذلك في هذه اللحظة السحرية الساحرة على نهر النيل ، وأصغي إلى الأذان ينطلق من حناجرهم في وقت واحد ، إذ كانت المساجد على مسافات متقاربة في القرية ، ويخطر في بالي أنني سأكون سببا ليقظة هذا العدد من المصلين وأن لي مثل ثوابهم "[3] .

---

(1) صحيح : رواه مالك وأحمد والشيخان والنسائي عن **أبي هريرة** رضي الله عنه كما في صحيح ص رقم : 5339 ، والتهجير هو التبكير لصلاة الظهر .
(2) حلية الأولياء 161/4 .
(3) مذكرات الدعوة والداعية ص36. الإمام الشهيد حسن البنا . ط دار التوزيع والنشر الإسلامية .

سنن الأذان الخمسة

قال ابن القيم [ت : 751] في كتابه **زاد المعاد** :

" وأما هديه في الذكر عند الأذان وبعده فشرع لأمته منه خمسة أنواع :

أحدها : أن يقول السامع كما يقول المؤذن إلا في لفظ حي على الصلاة حي على الفلاح ، فإنه صح عنه إبدالهما بـ (لا حول ولا قوة إلا بالله) .

الثاني : أن يقول : وأنا أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله . . رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا ، وأخبر أن من قال ذلك غُفر له ذنبه .

الثالث : أن يصلي على النبي بعد فراغه من إجابة المؤذن ، وأكمل ما يُصلى عليه به ويصل إليه هي الصلاة الإبراهيمية كما علَّم أمته أن يصلوا عليه ، فلا صلاة عليه أكمل منها .

الرابع : أن يقول بعد صلاته عليه : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته ، إنك لا تخلف الميعاد . هكذا جاء بهذا اللفظ مقاما محمودا بلا ألف ولا لام وهكذا صح عنه .

الخامس : أن يدعو لنفسه بعد ذلك ويسأل الله من فضله فإنه يستجاب له كما في السنن عنه : « **قل كما يقولون** (يعني المؤذنين) **فإذا انتهيت فسل تعطه** "(1) .

(2) ذكر الله :

لما أيقن **يونس بن عبيد** [ت : 139] بثواب الذكر انطلق يقرع آذان مؤثري الدنيا على الآخرة بكلماته التي تُعدُّ بحق ميزانا تقيس به همَّ قلبك ومؤشرا تعرف به وجهة سيرك : أدنيوي أنت أم أخروي ، فقال رحمه الله :

" من لم تكن تسبيحة أو تهليلة واحدة خيرًا عنده من الدنيا وما فيها فهو ممن آثر دنياه على آخرته "(2) .

ويوجِّه **أبو عبد الله** صريح عتابه لك في كلمات يكسوها حرصه عليك وحبه لك فيقول :

" إذا كان عندك ما أعطى الله نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا ولا تراه

---

(1) زاد المعاد 391، 392/2 بتصرف يسير . ابن قيم الجوزية . ط . مؤسسة الرسالة .

(2) تنبيه المغترين ص41 . الشعراني . ط دار إحياء الكتب العربية .

شيئا ، وإنما تريد ما أعطى الله النمرود وفرعون وهامان ، فمتى تُفلح ؟! "(1) .

يا أخانا الحبيب :

حتى متى أنت في دنياك منشغل ... وعامل الله عن دنياه مشغول

وليس بالكلمات وحدها يوقنون بل بالأفعال ، فيستشعر أحدهم الخسارة الفادحة المترتبة على ترك الذكر لحظة واحدة . يخبرنا عن ذلك **سعيد بن المسيب** [ت : 94] فيقول : " كنا عند **سعد بن أبي وقاص** فسكت سكتة ، فقال : إنه قد قلت في سكتتي هذه خير مما يسقي الفرات والنيل ، فقيل له : وما هو؟ قال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر "(2) .

إن الذكر غراس الجنة ، ومن قعد عنه لحظة ندم غدًا لحظات بل سنوات وتجرع مرارة الحسرات ، وكلما قوي يقين القلب بالأجر كلما هجر اللسان الصمت ليشتغل بالذكر .

سيد الموقنين

لما انكشفت الحجُب أمام النبي ﷺ رأى من عظمة أجر الذكر ما لم نره ، فكان حاله مع الذكر كما وصفه **ابن القيم** [ت : 751] قائلا :

" كان النبي ﷺ أكمل الخلق ذكرًا لله عز وجل ، بل كان كلامه كله في ذكر الله وما والاه ، وكان أمره ونهيه وتشريعه للأمة ذكرًا منه لله ، وإخباره عن أسماء الرب وصفاته وأحكامه وأفعاله ووعده ووعيده ذكرا منه له ، وثناؤه عليه بآلائه وتمجيده وحمده وتسبيحه ذكرا منه له ، وسؤاله ودعاؤه إياه ورغبته ورهبته ذكرا منه ، وسكوته وصمته ذكرا منه له بقلبه ، فكان ذاكرا لله في كل أحيانه وعلى جميع أحواله ، وكان ذكره لله يجري مع أنفاسه قائما وقاعدا وعلى جنبه وفي مشيه وركوبه ومسيره ونزوله وظعنه وإقامته "(3) .

(3) الإنفاق في سبيل الله :

الإنفاق في سبيل الله من أبرز علامات الموقنين ، وأجدى وسائل قياس منسوبه في القلب ، ذلك أنك حين تنفق مالك تشتري به الجنة ؛ وهي غيب لم تره ، جاءك خبرها على لسان رسول كريم ؛ وهو أيضا غيب لم تره ، ومبعوث لك من إله جليل لكنك أيضا لم

(1) صفة الصفوة 197/4 . ابن الجوزي . ط دار الفكر .
(2) الزهد ص 232 . أحمد بن حنبل . ط دار الريان .
(3) زاد المعاد 365/2 .

تره ، ومع ذلك آمنت وأيقنت ، وصدَّق فعلك قولك ، وأثبتَّ إيمانك وثقَّلت ميزانك بإخراجك مالك ، لتقدِّم بذلك الدليل الظاهر على صدق الإيمان الباطن ، لذا كان **الحسن البصري** كثيرًا ما يقول :

" **من أيقن بالخلف جاد بالعطية** "(1) .

يستحث الناس بذلك على البذل في سبيل الله وإيثار ما عند الله وشراء الجنة موعود الله ، فإن لم تُجْد معك كلماته ولم تؤثِّر فيك ، فعسى أن يكون في مواقف **عبد الله بن عمر** رضي الله عنه [ت : 73] الدواء الناجع والأثر المبين .

بلغ من يقين **عبد الله بن عمر** رضي الله عنه بثواب الله وحسن جزائه أنه كان إذا اشتد إعجابه بشيء من ماله قرَّبه لله عز وجل ، وكان يمتلك جارية ، فلما اشتد إعجابه بها أعتقها وزوَّجها مولى له !! فولدت غلاما . قال **نافع** : فلقد رأيت **عبد الله بن عمر** يأخذ ذلك الصبي فيقبِّله ثم يقول : واهًا لريح فلانة (يعني الجارية التي أعتق)(2) .

قال مولاه **نافع** : " وكان عبيده يعرفون ذلك منه ، فربما شمَّر أحدهم فيلزم المسجد ، فإذا رآه **ابن عمر** على هذه الحال الحسنة أعتقه ، فيقول أصحابه : يا أبا عبد الرحمن .. والله ما بهم إلا أن يخدعوك !! فيقول **ابن عمر** : فمن خدعنا لله انخدعنا له "(3) .

ما كان يبتدع أو يسلك مسلكا غريبا أو يؤلف نهجا غير نهج النبوة ، بل يقتفي الأثر شبرًا بشبر وذراعًا بذراع كما قالت **عائشة** رضي الله عنها : " ما رأيت أحدًا ألزم للأمر الأول من **ابن عمر** "(4) .

(4) صلاة الجمعة :

قال رسول الله ﷺ :

« **من اغتسل يوم الجمعة وغسَّل ، وبكَّر وابتكر ، ودنا واستمع وأنصت كان له بكل خطوة يخطوها أجر سنة صيامها وقيامها** »(5) .

قال **وكيع** : اغتسل هو وغسَّل امرأته (أحوجها إلى الغسل كناية عن الجماع)، وقال

---

(1) البيان والتبيين 143/3 .

(2) حياة الصحابة 155/2 .

(3) حلية الأولياء 294/1 .

(4) نزهة الفضلاء 365/1 .

(5) صحيح : رواه الترمذي وابن ماجة عن **أوس بن أوس** رضي الله عنه كما في صحيح ابن ماجة رقم : 1087 .

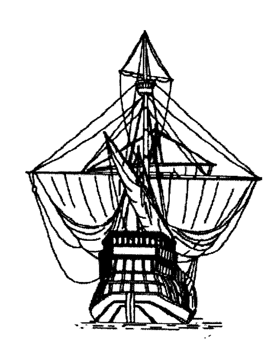


عبد الله بن المبارك [ت : 797] : من غسَّل واغتسل يعني غسل رأسه واغتسل .

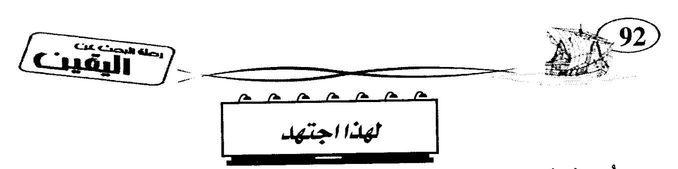
لما قرأت هذا الحديث لأول مرة استعظمت ثوابه بالمقارنة مع يسر وسهولة تنفيذه، فشككت في صحته حتى ذهبت إلى شيخ من شيوخي لأسأله عن صحة الحديث ، وأخبرته عن سبب قدومي ، وقبل أن يسمع مني النص قال مداعبا : وهل يعمل الناس بما جاء فيه؟! قلت : لا ، فقال بفراسة : إذن فهو صحيح!! فقلت متعجِّبا من رده قبل أن يسمع الحديث : ولماذا؟! فأجابني : لأن رسول الله ﷺ حين يرى انصراف الناس عن خير وفير وثواب غزير يكشف لهم بعض ثوابه وأجره لعلهم فيه يرغبون وإليه يتسابقون ، وأظن حديثك من هذا النوع ، فما كان مني عندها إلا أن عاجلته بالنص فأثبت لي صحته!!

أخي الحبيب . . اختبر يقينك ويقين من حولك بثواب هذه العبادة الرائعة ، واذهب إلى الجمعة قبل الخطبة بساعة واحدة لتفاجأ أن المسجد خاو يشكو غفلة المسلمين وقلة الموقنين ، فأي درجة من اليقين حصَّلنا حتى نرجو ثواب الله ونَطمع في جنته .

و لهذا الفضل العظيم والثواب الرائع فهم أئمة اليقين من سلفنا المبارك أن أي حرمان من ثواب التبكير إلى الجمعة ما هو إلا عقوبة على ذنب أو مؤاخذة على تقصير في خير ، فعن **أبي عثمان النيسابوري** أنه انقطع شسع نعله في مضيه إلى الجمعة ، فتعوَّق لإصلاحه ساعة ثم قال : " ما انقطع إلا لأني ما اغتسلت غسل الجمعة "[1] .



(1) صيد الخاطر ص 50 .



لهذا اجتهد

حُكي أن أصحاب **سفيان الثوري** [ت: 161] رحمه الله كلموه فيما كانوا يرون من خوفه واجتهاده ورقة حاله، فقالوا: يا أستاذ: لو نقصت من هذا الجهد نلت مرادك أيضا إن شاء الله تعالى، فقال **سفيان**: كيف لا أجتهد وقد بلغني أن أهل الجنة يكونون في منازلهم، فيتجلى لهم نور تضيء له الجنات الثمان، فيظنون أن ذلك نور من جهة الرب سبحانه وتعالى فيخرون ساجدين، فينادون: أن ارفعوا رؤوسكم، ليس الذي تظنون، إنما هو نور جارية تبسمت في وجه زوجها، ثم أنشأ يقول:

ما ضرَّ من كانت الفردوس منزله ... ماذا تحمَّل من بؤس وإقتار

تراه يمشي كئيبًا خائفًا وجلاً ... إلى المساجد يرجو رحمة الباري

يا نفس ما لك من صبر على لهب ... قد حان أن تُقبلي من بعد إدبار(1)

ب- الصبر عن المعصية:

حُفّت النار بالشهوات ولا يصبر على هذه الشهوات إلا موقن بما أعده الله للعصاة من عذاب أليم يصلونه في جهنم وبئس المصير، وهو صبر يأتي في المرتبة الثانية بعد الصبر على الطاعة.

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** [ت: 728]:

" كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها: أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في الجُبِّ وبيعه وتفريقهم بينه وبين أبيه، فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره لا كسب له فيها ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر، وأما صبره عن المعصية: فصبر اختيار ورضا ومحاربة للنفس "(2).

حديث مرعب

إلى من يشكو قلة الصبر عن المعاصي، وانهيار سدود مقاومته أمام الشهوات، وتغلب الشيطان عليه في معظم الجولات، دواؤك تجده في حديث **سمرة بن جندب** الوارد

(1) منهاج العابدين ص 186. أبو حامد الغزالي. ط دار الحكمة.
(2) مدارج السالكين 156/2.

في عذاب القبر وكيف يعذَّب الناس فيه ، وهذا الحديث عبارة عن رؤيا رآها النبي ﷺ وأخبر بها أصحابه يوما بعد أن صلى بهم الصبح ، ونحن نعلم أن منام الرسول ﷺ حقيقة تمامًا كيقظته ، وفيه أن رسول الله ﷺ أتاه ملكان هما جبريل و ميكائيل ، وأنهما ابتعثاه (أرسلاه) و قالا له : انطلق فانطلق معهما ، فأطلعاه على أناس من أمته يعذَّبون ، وفي آخر هذا الحديث سألهم :

" قلت لهما فإني قد رأيت منذ الليلة عجبا فما هذا الذي رأيت ؟! "

قال : قالا لي أما إنا سنخبرك :

(أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ (يكسر) رأسه بالحجر ، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه ، و ينام عن الصلاة المكتوبة) .

وتبرير عذاب تارك القرآن بالصورة المذكورة أنه لما رفض أشرف الأشياء وهو القرآن عوقب في أشرف الأعضاء وهو الرأس ، وأما النائم عن الصلاة فجعلت العقوبة في رأسه لأن النوم موضعه الرأس .

(وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه ، فإنه الرجل يغدومن بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق) .

وتبرير عذاب الكاذب بالصورة المذكورة هي أن شرشرة شدق الكاذب ما هو إلا إنزال للعقوبة بمحل المعصية .

(وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور ، فإنهم الزناة والزواني) .

وتبرير عذاب الزواني والزناة وهم عراة هي أنهم يستحقون أن يفضحوا ، لأن عادتهم في الدنيا أن يستتروا في الخلوة فعوقبوا بالهتك ، والحكمة في أن العذاب يأتيهم من تحتهم كون جنايتهم من قِبَل أعضائهم السفلى .

(وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر و يلقم الحجر فإنه آكل الربا) .

وإنما عوقب آكل الربا بسباحته في النهر الأحمر وإلقامه الحجارة ، لأن أصل الربا يجري في الذهب والذهب أحمر ، وأما إلقام الملك له الحجر فإنه إشارة إلى أن الربا لا يغني عنه شيئا ، فإن صاحبه يتخيل أن ماله يزداد والله من ورائه يمحقه .

وقد يسأل سائل :

ما سبب اقتصار الحديث على ذكر هذه الذنوب فحسب ، وهل لا يُعذَّب في قبره من فعل غيرها من الذنوب؟!

يجيبك على هذا السؤال الإمام **الكرماني** [ت : 786] فيقول :

" الحكمة في الاقتصار على من ذكر من العصاة دون غيرهم أن العقوبة تتعلق بالقول أو الفعل ، فالأول على وجود ما لا ينبغي منه أن يُقال ، والثاني إما بدني وإما مالي ، فذكر لكل منهم مثال يُنبِّه به على من عداه "(1) .

والعاقل هو من قايس بين اللذة العابرة المترتبة على المعصية والعذاب الوخيم الذي تستوجبه في القبر ، لتظهر نتيجة المقارنة على عمله : صبرًا عن المعاصي ، وصيانة من الزلات ، واجتنابًا للمحرَّمات .

قال الإمام **ابن القيِّم** [ت : 751] في كلام شافي وحروف هادية وهو يرسي قاعدة من قواعد التفكير العقلي الذي يقود حتما إلى بناء صرح من صروح الإيمان في القلب :

" فمتى عرف التفاوت بين اللذتين والألمين ، وأنه لا نسبة لأحدهما إلى الآخر هان عليه ترك أدنى اللذتين لتحصيل أعلاهما ، واحتمال أيسر الألمين لدفع أعلاهما ، وإذا تقرَّرت هذه القاعدة فلذة الآخرة أعظم وأدوم ، ولذة الدنيا أصغر وأقصر ، وكذلك ألم الآخرة وألم الدنيا ، والمُعَوَّل في ذلك على الإيمان واليقين ، فإذا قوى اليقين وباشر القلب آثر الأعلى على الأدنى في جانب اللذة ، واحتمل الألم الأسهل على الأصعب "(2) .

جـ - الصبر على البلاء :

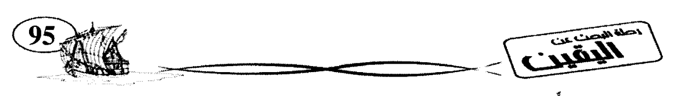
والعلاقة بينه وبين اليقين شديدة الوضوح ، ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ الذي كان دائما يقوله في كل مجلس : « **ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصائب الدنيا** » ، لأن مما يعين على الصبر على محن الزمان ونوائبه :

(ملاحظة حسن الجزاء ، وعلى حسب ملاحظته والوثوق به ومطالعته يخف حمل البلاء لشهود العوض ، وهذا يُخفِّف على كل متحمل مشقة عظيمة حملها لما يلاحظه من لذة عاقبتها وظفره بها ، ولولا ذلك لتعطلت مصالح الدنيا والآخرة وما أقدم أحد على تحمل مشقة عاجلة إلا لثمرة مؤجلة ، فالنفس موكلة بحب العاجل ، وإنما خاصة العقل : تلمح العواقب ومطالعة الغايات)(3) .

ومن حسن الجزاء فعالية الدواء ، فالابتلاء من أنجع أدوية علاج القلب ، لكن ماذا يعالج؟!

---

(1) فتح الباري 446/12 . ط دار المعرفة .
(2) الفوائد 200-201 .
(3) مدارج السالكين ص 166/2 . ط دار الكتاب العربي .



قال ابن القيِّم [ت : 751] :

" إن ابتلاء المؤمن كالدواء له يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته ، أو نقصت من ثوابه وأنزلت درجته ، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء "[1] .

فيُخرج الله منه بهذا الابتلاء داء العجب ، وينزع منه الكبر والبطر والعلو والاستطالة ، ويرزقه التَواضع ، فيعود مُقبلا على الله بقلبه ضارعا باكيا ، وينهض بين يديه في جوف الليل ، ويطيل السجود ، ويكثر من الاستغفار ، ويتوب من كل ما اقترف من سوء .

إنها البلايا كذلك تُشهده مشاهد لم يكن ليراها دون ابتلاء ، ولا ليحس بها وهو يرتدي ثوب العافية على الدوام ، وفي ذلك يقول ابن القيِّم :

" إذا جرى على العبد مقدور يكرهه فله فيه ستة مشاهد :

الأول : مشهد التوحيد ، وأن الله هو الذي قدَّره وشاءه وخلقه ، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

الثاني : مشهد العدل ، وأنه ماض فيه حكمه ، عدل فيه قضاؤه .

الثالث : مشهد الرحمة ، وأن رحمته في هذا المقدور غالبة لغضبه وانتقامه ، ورحمته حشوه أي ظاهره بلاء وباطنه رحمة .

الرابع : مشهد الحكمة ، وأن حكمته سبحانه اقتضت ذلك ، لم يقدِّره سدى ولا قضاه عبثا .

الخامس : مشهد الحمد ، وأن له سبحانه الحمد التام على ذلك من جميع وجوهه .

السادس : مشهد العبوديَّة ، وأنه عبد محض من كل وجه تجري عليه أحكام سيِّده وأقضيته بحكم كونه ملكه وعبده ، فيصرفه تحت أحكامه القدريَّة كما يصرفه تحت أحكامه الدينية ، فهو محل لجريان هذه الأحكام عليه "[2] .

لذلك حُكي عن امرأة من العابدات أنها عثرت ، فانقطعت إصبعها فضحكت ، فقال لها بعض من معها : أتضحكين وقد انقطعت إصبعك ؟! فقالت :

" أخاطبك على قدر عقلك . . حلاوة أجرها أنستني مرارة ذكرها "[3] .

(1) حكم الإبتلاء ص 40-41 . الطبعة الثانية . دار الكلمة الطيبة ، 1404هـ
(2) الفوائد 32 .
(3) السابق ص 571 .

نعم البلاء مؤلم والصدمة مفجعة ، ولست أطلب منك بلوغ نفس مستوى هذه المرأة العابدة ، ولا أرجو أن تصل بقلبك إلى الدرجة الملائكية ، إنما أوضِّح مقصدي ومرادي بمثل جميل بل بمثلين رائعين أوردهما **ابن قدامة المقدسي** [ت : 744] في كتابه الثمين **مختصر منهاج القاصدين** فقال :

" ومثال هذا رجل مريض له شربة لمرضه ، فسعى في طلب حوائجها، وأنفق عليها مالاً ، فلما تمت ، فرح بتمامها وتناولها لما يرجو لها من العافية ، فأما طبعه ، فما زالت عنه كراهة التناول أصلاً .

ولو أن ملكًا قال لرجل فقير : كلما ضربتك بهذا العود اللطيف ضربة أعطيتك ألف دينار ، لأحب كثرة الضرب ، لا لأنه لا يؤلم ، ولكن لما يرجو من عاقبة ، وإن أنكاه الضرب ، فكذلك السلف تلمحوا الثواب ، فهان عليهم البلاء "[1] .

وهل يصبر الإنسان إلا إذا أيقن بالبدل وآمن بالمكافأة؟! قال **زهير بن نعيم الباني** :

" إن هذا الأمر لا يتم إلا بشيئين : الصبر واليقين ، فإن كان يقينا ولم يكن معه صبر لم يتم ، فإن كان صبرا ولم يكن معه يقين لم يتم " .

وقد ضرب لهما **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [ت : 32] مثلاً فقال :

" مثل اليقين والصبر مثل فدادين (مزارعين) يحفران الأرض فإذا جلس واحد جلس الآخر "[2] .

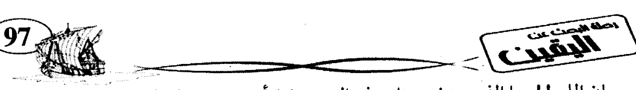
يقين امرأة

وهذه امرأة أحد الدعاة إلى الله يُحبس زوجها ظلما وعدوانا ضريبة واجبة يدفعها لسيره في طريق الرسل و الأنبياء ، وكان ذلك بعد زواجهما بثلاثة شهور فيُحكم عليه بالسجن عشرين عاما ، ويشفق الرجل على زوجته ، وتأبى نفسه الكريمة أن تكون زوجه أسيرة خارج القضبان وهو أسير من ورائها ، فيبعث إليها رسالة يعرض عليها فيها أن يُخلِّي سبيلها ، فتبعث إليه خطاب كتبت كلماته بمداد من يقين :

" لقد ذُقت معك نعيم الدنيا ثلاثة أشهر ، أحين جاء أجر الآخرة تريد أن تستأثر به دوني ؟! والله لا يُفرِّق بيني وبينك إلا الموت " .

(1) مختصر منهاج القاصدين ص 274 . ط دار التراث

(2) صفة الصفوة 4/ 6 ، 7 . ابن الجوزي . ط دار الفكر .



سبحان الله !! ما الذي يدفع مثل هذه الضعيفة أن تصبر هذا الصبر الذي لا تتحمله الجبال؟! ما المقابل الذي ستحصل عليه؟!

إنه اليقين في موعود الله والثقة بثوابه ، إنها صورة الجنة والنار التي ترتسم في ذهنها واضحة غير مهتزة . . راسخة غير مشوشة ، ولذلك تصبر وتحتسب وتضحي وترضى .

الماء أم الزيت ؟!

قال ابن الجوزي [ت : 597] مبينا عاقبة الصبر :

« صُبَّ في القنديل ماء ثم صُبَّ زيت ، فصعد الزيت على سطح الماء ، فقال الماء : أنا الذي سقيت شجرتك فأين الأدب؟ لم ترتفع علي؟!

قال الزيت : لأنك بينما كنت في باطن الأرض تجري على طريق السلامة ، صبرتُ أنا على العصر وطحن الرحا، وبالصبر يرتفع القدر .

قال الماء : إلا أني أنا الأصل .

قال الزيت : استر عيبك . . . فإنك لو لامست شعلة المصباح انطفأ »(1).

ولماذا نمضي بعيدا في الأمثال ونحن بين أيدينا أنصع الحقيقة لا الخيال . قال ابن القيّم [ت : 751] :

« فإذا جئت إلى النبي وتأملت سيرته مع قومه وصبره في الله واحتماله مالم يحتمله نبي قبله ، وتلوّن الأحوال عليه من سلم وخوف وغنى وفقر وأمن ، وإقامة في وطنه وظعن عنه ، وتركه لله ، وقتل أحبابه وأوليائه بين يديه ، وأذى الكفار له بسائر أنواع الأذى من القول والفعل والسحر والكذب والافتراء عليه والبهتان ، وهو مع ذلك كله صابر على أمر الله ، يدعو إلى الله ، فلم يُؤذَ نبي ما أوذي ، ولم يحتمل في الله ما احتمله ، ولم يُعط نبي ما أعطيه ، فرفع الله له ذكره ، وقرن اسمه باسمه ، وجعله سيد الناس كلهم ، وجعله أقرب الخلق إليه وسيلة ، وأعظمهم عنده جاها ، وأسمعهم عنده شفاعة ، وكانت تلك المحن والابتلاء عين كرامته ، وهي مما زاده الله بها شرفًا وفضلاً ، وساقه بها إلى أعلى المقامات ، وهذا حال ورثته من بعده الأمثل فالأمثل »(2).

---

(1) المدهش ص 196 بتصرف .
(2) مفتاح دار السعادة ص 342 .ط دار الحديث .

(2) التوكل:

والعلاقة بين اليقين والتوكل جدُّ وثيقة ، والحقيقة أن التوكل ثمرة اليقين ، ولهذا حسن اقتران الحق والهدى بالتوكل . قال الله تعالى : ﴿**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**﴾ [النمل: 79] فالحق : هو اليقين ، وقالت رسل الله : ﴿**وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا**﴾[إبراهيم: 12] .

ولشدة ارتباط التوكل باليقين كان زاهد البصرة **طلق بن حبيب** يُكثر من هذا الدعاء :

" **اللهم إني أسألك توكل الموقنين بك ويقين المتوكلين عليك** "(1) .

ما هو التوكل ؟!

هو عمل قلبي مقتضاه ترك تدبير النفس والاختيار لها ، والانخلاع من حولك وقوتك إلى حول الله وقوته ، وذلك عن طريق قطع تعلق القلب بأي أحد غير الله .

إن تعلق القلب بغير الله يجمع عليه الشياطين من كل ناحية ، بعد أن فاحت ريحه وانتشر خبره في مجتمع الأبالسة الواقفين بالمرصاد لأي ثغرة تحدث في جدار الفؤاد ؛ لتتسلل وتحتل وتبسط نفوذها وتُضِلّ . قال **سهل بن عبد الله التستري** [ت: 283] :

" ما من قلب ولا نفس إلا والله مطَّلع عليها في ساعات الليل والنهار ، فأيما قلب أو نفس رأى فيه حاجة إلى سواه سلَّط عليه إبليس "(2) .

ولعشاق التميز وراغبي السُّكنى في أعلى درجات الجنة قال **ابن القيم** [ت: 751] مبيِّنا نوعي التوكل ومفاضلاً بينهما :

" **أحدهما** : توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية ، أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية .

والثاني : التوكل على الله في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الايمان واليقين والجهاد والدعوة اليه .

والجهاد والدعوة إلية وبين النوعين من الفضل مالا يحصيه إلا الله ، فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله كفاه النوع الأول تمام الكفاية ، ومتى توكل عليه في النوع

---

(1) التوكل ص69 . الحافظ ابن أبي الدنيا .
(2) طبقات الصوفية ص 208 .

الأول دون الثاني كفاه أيضا ، لكن لا يكون له عاقبة المتوكل فيما يحبه ويرضاه ، فأعظم التوكل عليه التوكل في الهداية ، وتجريد التوحيد ، ومتابعة الرسول ﷺ ، وجهاد أهل الباطل ، فهذا توكل الرسل وخاصَّة أتباعهم "[1].

آية التوكل على الجامعة

قال عز وجل : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: 58].

سبحان الله . . كيف يلجأ أحد إلي غير الله بعد سماعه هذه الآية؟! ألم تر أنه أعلمك أنه لا يموت وجميع خلقه يموتون، ومن لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الموت هل يصلح أن تستعين به وتتوكل عليه؟! ثم أمرك بالتسبيح بحمده وفي هذا فائدتان جليتان :

● **الأولى:** التسبيح فيه تنزيه الله عن كل نقص وعيب وضعف وعجز، فإذا استقر هذا في القلب وامتلأت كل ذرة بهذا التبجيل والتعظيم والإجلال؛ سهل عليك استجلاب معنى التوكل على من هذه صفته وجمع الهم عليه .

● **الثانية:** أن التسبيح ذكر لله، وذكر الله يجلب معية الله **(وأنا معه إذا ذكرني)**، ومعية الله عون وإعانة ودعم وإمداد، ولذا فقوة المتوكلين وعزتهم مستمدة من قوة الله وعزته، وطمأنينة قلوبهم يقف وراءها سر : ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد : 28].

وفي ضوء هذه الآية تعرف لماذا أطلق **سليمان الخواص** قوله :

" لو عامل عبدٌ الله بحسن التوكل وصدق النية له بطاعته، لاحتاجت إليه الأمراء ومن دونهم، فكيف يكون هذا محتاجًا وموئله إلى الغني الحميد؟! "[2].

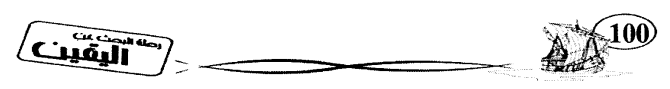
أرباح المتوكلين

* عن **ابن عباس** رضي الله عنهما [ت: 68] قال : حسبنا الله ونعم الوكيل قالها **إبراهيم** حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قالوا له : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173] .

* قال النبي ﷺ : «**لو أنكم توكلون علي الله حق توكله؛ لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو خماصا وتروح بطانا**»[3].

---

(1) الفوائد : 86.
(2) التوكل ص 70.
(3) صحيح : رواه أحمد والترمذي وابن ماجة عن عمر رضي الله عنه كما في ص ج ص رقم : 5254.



* وقال ﷺ : «**إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله توكلت علي الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: يُقال حينئذ هُديت وكُفيت ووُقيت فتتنحى له الشياطين، فيقول الشيطان لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدي وكُفي ووُقي**»(1) .

* وأخبر ﷺ أن المتوكلين في عداد السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، و «**هم الذين لا يسترقون ولا يتطيَّرون ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون**»(2) .

العاقبة اللذيذة

وانظر إلى التوكل العجيب الذي بلغه الإمام القدوة العارف سيد الزهاد **إبراهيم ابن أدهم** [ت : 162] . قال **حذيفة المرعشي** [ت : 206] :

" أويتُ أنا وإبراهيم إلى مسجد خراب بالكوفة ، وكان قد مضى علينا أيام لم نأكل فيها شيئا ، فقال لي : كأنك جائع ، قلت : نعم ، فأخذ رقعة فكتب فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود إليه بكل حال ، المشار إليه بكل معنى ، ثم قال لي : اخرج بهذه الرقعة ولا تعلّق قلبك بغير الله سبحانه وتعالى ، وادفع هذه الرقعة إلى أول رجل تلقاه ، فخرجنا فإذا رجل على بغلة فرفعتها إليه ، فلما قرأها بكى ودفع إليَّ ستمائة دينار وانصرف ، فجئت **إبراهيم** فأخبرته فقال : الآن يجيء فيسلم ، فما كان غير قريب حتى جاء فأكبَّ على رأس **إبراهيم** فأسلم "(3) .

طوق النجاة .. التوكل

كان **أبو الحسن بنان الحمَّال** الزاهد الواسطي المتوفَّى سنة 316 للهجرة شيخَ الديار المصرية ، وقد ذهب يوما يقوم بدوره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فطاش عقل **أحمد بن طولون** [ت : 270] الذي كان جبارا سفَّاكا للدماء (أحصي من قتله صبرا أو مات في سجنه فبلغوا ثمانية عشر ألفا) ، وأمر بإلقاء أبي الحسن إلى الأسد، ونترك لأديب الإسلام **مصطفى صادق الرافعي** [ت : 1355] التعليق على هذا الموقف :

" وورد النور على هذا القلب المؤمن يكشف له عن قرب الحق سبحانه وتعالى، فهو ليس بين يدي الأسد ولكنه هو والأسد بين يدي الله ، وكان مندمجا في يقين هذه الآية :

---

(1) صحيح : رواه أبو داود كما في صحيح أبي داود رقم : 4249 .

(2) صحيح : رواه الشيخان عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كما في ص ج ص رقم : 399 .

(3) البداية والنهاية 143/10 .

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: 48].

ورأى الأسد رجلا هو خوف الله فخاف منه، ونسي الشيخ نفسه، فكأنما رآه الأسد ميتا ولم يجد فيه (أنا) التي يأكلها، ولو أن خطرة من همٍّ الدنيا خطرت على قلبه في تلك الساعة أو اختلجت في نفسه خالجة من الشك، لفاحت رائحة لحمه في خياشيم الأسد فتمزَّق في أنيابه ومخالبه "[1].

ولما سُئل بعدها: أين كان قلبك حين شمك السبع؟! قال: "كنتُ أفكر في سؤر السباع ولعابها "[2]!!

ولأن الخير في هذه الأمة إلى قيام الساعة، فقد جاء تلامذة البنا يحيون ما اندرس من سيرة السلف، ويجددون دين رب العالمين بإحيائه نماذج حية وبطولات فذَّة وأعلام فداء.

الحبس الانفرادي وبدائع صنع الله

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ **محمود عبد الحليم** رحمه الله:

" في أحد أيام هذه الفترة العصيبة نعق ناعق البوم بأن تفتح الزنازين ويصطف المعتقلون وقوفاً بداخلها لأن القائد - قائد السجن الحربي - سيمر، وفتحت الزنازين وامتثلنا للأمر، وأخذ حمزة البسيوني ومعه كلبه الذي قد يبلغ ارتفاعه قامة الرجل والذي يعتبره حمزة البسيوني أشرس وسائل التعذيب حين يطلقه على معتقل لينهش لحمه، وهو يكاد لضخامته أن يكون في قوة الأسد وبطشه، وفي حالتنا هذه بلغ الفجور بهذا الرجل حداً لا يعبر عنه إلا بأنه تحد مباشر لذات الله سبحانه وتعالى؛ ذلك بأنه لم يكتف بحبسنا حبسا انفراديا بغير جرم ولا مبرر؛ لا إنه اختار أضعفنا جسما وأكبرنا سنا وأقربنا إلى الشيخوخة، وأمر أن يوضع معه في الزنزانة كلبه المتوحش؛ وكان هذا الأخ هو الدكتور **مصطفى عبد الله**.

وكان معنى هذا الأمر الفاجر أن لا يصبح الصباح على الدكتور **مصطفى** إلا وقد فُتك به، ومُزِّق إربًا إربًا . . . وما كنا نملك له ولا لأنفسنا شيئا، وقضينا الليلة الأولى ونحن أقرب ما نكون من الله حيث كان التجرد كاملا، ولم أكن في تلك الليلة مشغولا بنفسي، وإنما كنت مشغولا بالدكتور مصطفى ذلك الشيخ الضعيف الذي حُكم عليه بأن يعيش مع الكلب الكاسر في زنزانة، وكان قلبي يهلع كلما تذكرت في أثناء تلك

(1) وحي القلم 41/3، 40. مصطفى صادق الرافعي. ط مكتبة الإيمان.
(2) حلية الأولياء 324/10.

الليلة كيف أتلقى في الصباح حين يفتح الحارس الزنزانة ليلقي إلي بلقيمات الإفطار نبأ وفاة الدكتور **مصطفي** ممزقا كل ممزق . . . وأصبح الصباح ، وفتح الحارس باب زنزانتي فابتدرته سائلاً عما إذا كان فتح زنزانة الدكتور **مصطفي** فأجابني بالإيجاب ؛ وفهمت منه أنه ما زال على قيد الحياة، فتعجبت وقلت : لعل الكلب لا زال شبعان ، ولكنه بعد انقضاء يوم وليلة لا بد أنه سيجوع ، وإذا جاع كلب كهذا دون أن يقدم له طعام فلن يجد غذاءً له إلا لحم الإنسان الوحيد المحبوس معه .

وقضينا الليلة الثانية في الحبس الانفرادي ، وفي الصباح فتح باب الزنزانة وجاء الحارس، وهممت أن أسأله عن الدكتور **مصطفي** ولكنه بادرني بقوله : ألا تعرف ما حدث للدكتور **مصطفي** ؟ ! قال : لقد كنا جميعا نظن أن يصرعه الكلب وينهش لحمه وعظمه ، ولذا كان همِّي طول الليل أن أنظر إليه من ثقب الباب بين لحظة وأخرى ، قلت : فماذا رأيت ؟

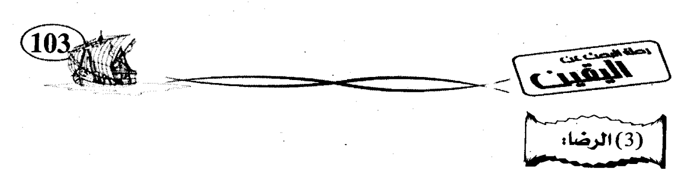
قال الحارس :

لقد رأيت عجبا . . . لعلك لا تعلم أن الباشا (قائد السجن الحربي هكذا كانوا يلقبونه) كان قد أمر بأن لا نقدم طعاما للكلب طوال الأسبوع . . . فلمَّا أدخلت للدكتور طعام العشاء أمس ثم نظرت من ثقب الباب فرأيت الكلب جاثيا أمام الباب ووجهه نحو الباب ، لا يتحرك كأنه يحرس الزنزانة من داخلها . . . ورأيت الدكتور يقدم الطعام للكلب والكلب لا يقربه ، والدكتور يكلم الكلب كأنه إنسان ، ويعزم عليه أن يأكل والكلب يرفض ويأكل الدكتور ويقدم للكلب بقية الطعام فيأكله الكلب . . . ويقدّم له الماء فلا يمد فمه في الجردل ، وينتظر حتى يتوضأ الدكتور فيلحس الكلب الماء الذي وقع في أثناء الوضوء على الأرض ، ويمضى الدكتور يصلي والكلب جاثم أمام الباب يحرسه . . . والدكتور حين يغلبه النوم فيضع جنبه أنظر فأرى الكلب في حالة تحفز نحو الباب ، كالحارس الذي يخشى أن يقتحم العدو الباب على صاحبه وهو نائم . . . وكنت أرى الدكتور في بعض الأوقات يكلم الكلب كأنه إنسان ، ويضع يده على ظهره فينيخ الكلب ويبسط أقدامه بجانب الدكتور كأنه ولده الصغير ! ! »[1].

رحم الله هذي الدرر ، وأسكنها برضوانه جنات ونهر ، جزاء ما رضيت قلوبهم وشمخ يقينهم ، ولو أُذن لقلب الواحد منهم أن يتكلم لنطق :

كــن أيها السجن كيــف شئت	**فقد وطِّنت للسجن نفس معترف**
لــو كان سكــناي فــيه منقصة	**لم يكــن الدرُّ ساكن الصــدف**

(1) الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ بتصرف . محمود عبد الحليم . ط دار الدعوة .



(3) الرضا:

هو ارتفاع الجزع في أي حكم كان، واستقبال الأحكام بالفرح، وسكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد لأنه اختار له الأفضل.

ولذا لما سئل **يحيى بن معاذ** [ت: 258] متي يبلغ العبد إلي مقام الرضا؟ قال:

«إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه: إن أعطيتني قبلت، وإن منعتني رضيت، وإن تركتني عبدت، وأن دعوتني أجبت» (1).

ما علاقة الرضا باليقين؟

العلاقة جدُّ وثيقة إذ كيف لا يرضى بمقدور الله من أيقن هو **(الرحمن)** أرحم بعباده من الأم بولدها، وَكيف لا يرضى من أيقن أن الله سبحانه **(العليم)** يعلم ما يصلح عبده وما يضره والعبد جاهل لا يرى إلا تحت قدميه، وكيف لا يرضى من أيقن أنه سبحانه **(اللطيف)** يبتلى عباده بالمصائب ليُطهِّرهم من خطايا تدخل النار وذنوب جزاؤها جنهم، وكيف لا يرضى من أيقن أنه سبحانه **(الودود)** يتودد إلى عباده بنعمه اللا محدودة ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا** ﴾ [إبراهيم: 34]، ولاحظ أنه قال نعمة الله ولم يقل نعم الله لأن كل نعمة محشوة بنعم لا تُعدّ ولا تُحصى، بل حتى المحنة حشوها نعم كثيرة.

العبد ذو ضجر والرب ذو قدر	**والدهر ذو دول والرزق مقسوم**
والخير أجمع في ما اختار خالقنا	**وفي اختيار سواه اللوم والشوم**

لذا ما كان **سهل التسترى** [ت: 283] مبالغًا حين قال: «حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا، وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل» (2).

ولذا أيضًا عرَّف **سفيان الثورى** [ت: 161] اليقين بأنه الرضا حين قال: «اليقين أن لا تتهم مولاك في كل ما أصابك» (3).

وهكذا فهم سلفنا الأمر فتأدبوا مع الله وحسنت أخلاقهم مع أقداره، وأدركوا حكمته البالغة في كل ما يصنع، فامتلأت قلوبهم ببرد الرضا وثلج اليقين، واستوى عندهم السلب والعطاء، ومن أمثلة ذلك أنه لما قيل **لأبي علي بن الكاتب**: إلى أي الجانبين أنت أميل إلى الفقر أو إلى الغنى؟!

---

(1) تهذيب مدارج السالكين ص 598 - 599.
(2) إحياء علوم الدين 366/4. أبو حامد الغزالي. ط دار الكتب العربية.
(3) الحلية 9/7.



فقال: إلى أعلاهما رتبة وأسناهما قدرًا، ثم أنشأ يقول:

ولســـت بنظَّار إلى جانب الغنى — إذا كانت العلياء في جانب الفقر

وإني لصــبَّار علـــى ما ينوبـنـــي — وحسبك أن الله أثنى على الصبر[1]

هو أدب ورثوه وتعلموه من سيد المتأدبين مع ربه ﷺ الذي علَّمنا من دعائه كلما قام للصلاة أن يقول: «**لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك**»[2].

شهادات الصالحين

وقد تواترت شهادات الصالحين وأقوالهم في مكانة الرضا وفضله[3]، كلهم له يشهدون وإليه يدعون، فالرضا:

* **هو هداية القلب** في لغة فقيه الكوفة **علقمة** [ت: 62] الذي فسَّر قول الله تعالى:

﴿**وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾ [التغابن: 11] بقوله:

"هي المصيبة تُصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيُسلِّم لها ويرضى"[4].

---

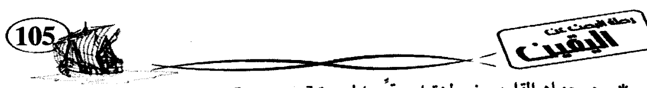
(1) حلية الأولياء 360/10.

(2) صحيح: رواه مسلم في صحيحه 534/1. قال **الإمام النووي**: "وأما قوله: «**والشر ليس إليك**»؛ فمما يجب تأويله لأن مذهب أهل الحق أن كل المحدثات فعل الله تعالى وخلقه سواء خيرها وشرها، وحينئذ يجب تأويله وفيه خمسة أقوال **أحدها**: معناه لا يتقرب به إليك، **والثاني**: معناه لا يضاف إليك على انفراده لا يقال يا خالق القردة والخنازير ويا رب الشر ونحو هذا، وإن كان خالق كل شيء ورب كل شيء وحينئذ يدخل الشر في العموم، **والثالث**: معناه والشر لا يصعد إليك، إنما يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح، **والرابع**: معناه والشر ليس شرًا بالنسبة إليك فإنك خلقته بحكمة بالغة، وإنما هو شر بالنسبة إلى المخلوقين، **والخامس**: أنه كقولك فلان إلى بني فلان إذا كان عداده فيهم أو وصفه إليهم". شرح النووي على مسلم بتصرف 59/6.

(3) أحصى الإمام **ابن القيم** في (مدارج السالكين) اثنتين وستين فائدة من فوائد الرضا منها:

* تمام العبودية في جريان ما تكره من الأحكام، ولو لم يجر على العبد إلا ما يحب لكان أبعد مايكون عن عبودية ربه.
* الرضا يفتح باب سلامة القلب، ولا ينجو من عذاب الله إلا من أتى الله بقلب سليم.
* السخط باب الهم والغم والحزن وشتات القلب والرضا يخلصه من ذلك كله.
* الرضا يفرغ القلب لله والسخط يفرغ القلب من الله.
* الرضا يثمر الشكر والسخط يثمر ضده وهو كفر النعم.
* إنما يظفر الشيطان بالإنسان غالبًا عند السخط فهناك يصطاده بعكس الرضا.
* الرضا عن الله في جميع الحالات يثمر للعبد رضا الله عنه في جميع الأحوال فإن الجزاء من جنس العمل.
* رضا الله عن العبد أكبر من الجنة وما فيها ﴿**وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ [التوبة: 72].
* إذا رضي العبد به وعنه في جميع الحالات: لم يتخير عليه المسائل وجعل ذكره في محل سؤاله، فهذا يُعطى أفضل ما يُعطاه سائل (**من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**).
* أعمال الجوارح تضاعف إلى حد معلوم محسوب، وأما أعمال القلوب ومنها الرضا: فلا يتنهي تضعيفها.

(4) الرضا عن الله ص 44. أبو بكر بن أبي الدنيا. ط مكتبة القرآن.



* وهو جهاد القلوب في لغة ابن قيِّم الجوزية [ت: 751] الذي قال: «الرضا من أعمال القلوب نظير الجهاد من أعمال الجوارح، فإن كل واحد منهما ذروة سنام الإيمان» (1).

* وهو غاية حبك لله في لغة شيخ الإسلام المجاور بحرم الله الفضيل بن عياض [ت: 187] الذي سئل يومًا: يا أبا علي.. «متى يبلغ الرجل غايته في حب الله تعالى، فقال:

«إذا كان عطاؤه ومنعه إياك عندك سواء، فقد بلغت الغاية من حبه» (2).

* وهو ابتلاء إبراهيم في تفسير الحسن البصري لقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: 12]. قال رحمه الله:

«ابتلاه بالكواكب فرضي عنه، وابتلاه بذبح ابنه فرضي عنه، وابتلاه بالهجرة فرضي عنه، وابتلاه بالنار فرضي عنه، وابتلاه بالختان» (3).

الرضا عن طريق دعاء!!

فإن لم نملك اليقين الكافي لبلوغ الرضا، فما أحلى هذا الدعاء الذي علمنا إياه رسولنا الكريم لنسلك طريق الرضا، وننهل به من نهره العذب حتى نرتوي ونهتدي.

عن عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري رضي الله عنه [ت: 70]: عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول في دعائه:

«اللهم ارزقني حبك، وحب من ينفعني حبه عندك، اللهم ما رزقتني مما أحب، فاجعله قوة لي فيما تحب، اللهم وما زويت عني مما أحب فاجعله لي قوة فيما تحب» (4).

قال في تحفة الأحوذي:

« قوله: «اللهم ارزقني حبك» أي لأنه لا سعادة للقلب ولا لذة ولا نعيم ولا صلاح إلا بأن يكون الله أحب إليه مما سواه، «اللهم ما رزقتني مما أحب» أي الذي أعطيتني من الأشياء التي أحبها من صحة البدن وقوته وأمتعة الدنيا من المال والجاه والأولاد والفراغ، «فاجعله قوة لي» أي عدة لي، «فيما تحب» أي بأن أصرفه فيما تحبه وترضاه من الطاعة والعبادة.

«اللهم وما زويت»: من الزي بمعنى القبض والجمع، أي وما قبضته ونحَّيته عني أي بأن منعتني ولم تعطني مما أحب أي مما أشتهيه من المال والجاه والأولاد وأمثال ذلك، «فاجعله فراغا لي» أي سبب فراغ خاطري فيما تحب أي من الذكر والفكر والطاعة والعبادة.

(1) مدارج السالكين 214/2.

(2) حلية الأولياء 113/8.

(3) الرضا عن الله ص110، 111.

(4) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وأبو جعفر الخطمي اسمه عمير بن يزيد بن خماشة. قال الشيخ الألباني: ضعيف

قال القاضي:

"يعني ما صرفت عني من محابِّي فنحِّه عن قلبي، واجعله سببًا لفراغي لطاعتك، ولا تشغل به قلبي فيُشغل عن عبادتك، وقال الطيبي: أي اجعل ما نحيَّته عني من محابِّي عونًا لي على شغلي بمحابك، وذلك أن الفراغ خلاف الشغل، فإذا زوى عنه الدنيا ليتفرغ بمحاب ربه كان ذلك الفراغ عونًا له على الاشتغال بطاعة الله" (1).

إنه دواء على هيئة دعاء، فإلى كل متطلع إلى ما في يد غيره، ودائم الشكوى من أحواله، وكثير التأفف من سوء حظه وتعرض الأقدار له بالسوء، إلى هذا المعذَّب بيده لا بيد عدوه، والجاني الذي يرتدي ثوب الضحية، نقول له: هاك ما دعا به حبيبك من قبل، أقبل على هذا الدعاء المضَمَّخ بعبق الكرامة النبوية، وواظب عليه، وردِّده صباح مساء كمن يتناول سر سعادته وأمل نجاته كل يوم، لترث الرضا عن الله في جميع أحوالك، وتملأ القلب سرورًا وإن ظنك الناس محرومًا.

منارات في طريق الرضا

* قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه [ت: 32]:

"لأن ألحس جمرة أحرقت ما أحرقت، وأبقت ما أبقت؛ أحب إليَّ من أن أقول لشيء كان: ليته لم يكن، أو لشيء لم يكن: ليته كان" (2).

* وقال: عمر بن عبد العزيز [ت: 101]: لقد تركتني هؤلاء الدعوات وما لي شيء في الأمور كلها أرب إلا في مواقع قدر الله، فكان كثيرًا ما يدعو:

«اللهم رضِّني بقضائك، وبارك لي في قدرك، حتى لا أحب تعجيل شيء أخَّرته، ولا تأخير شيء عجَّلته» (3).

* وقال أبو عثمان الحيري: [ت: 298]: «منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حالة فكرهتها، ولا نقلني إلى غيرها فسخطتها» (4).

إذا ارتحـل الكرام إليك يوما	ليلتـمسـوك حـالاً بعد حال
فإن رحـالنا حطَّـت لترضى	بحلـمك عن رضاء وامتثال

(1) تحفة الأحوذي 325/9، 326 بتصرف يسير.
(2) إحياء علوم الدين 265/4.
(3) مدارج السالكين 225/5.
(4) البداية والنهاية 11 / 122.

أنخنا في فنائك يا إلهي	إليك معرَّضين بلا اعتلال
فسُسْنا كيف شئت ولا تكلنا	إلى تدبيرنا يا ذا المعالي

(4) الخوف:

وما سأعرض له هنا هو ما يرتبط باليقين ارتباطًا وثيقًا ألا وهو الخوف من النار، ولكن أولاً وقبل كل شيء قد تسألني وتقول: ما علاقة الخوف باليقين؟! يجيبك على هذا أستاذ يقين **كالحارث المحاسبي** [ت: 243] فيقول:

« ولا يكون الخوف إلا بعد اليقين، وهل رأيت خائفًا لما لم يستيقنه ؟!»[1].

وبكلمات أخرى يقول **ذو النون** [ت: 245]:

«إذا صحَّ اليقين في القلب صحَّ الخوف فيه»[2].

بل يرى **أبو سليمان الداراني** [ت: 205] أن كل مدَّعٍ لليقين كاذب إلا إذا اقترن يقينه بالخوف. قال رحمه الله:

«لكل شيء صدق، وصدق اليقين: الخوف من الله»[3].

هلكى ولا مغيث

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما [ت: 68]: ﴿**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ**﴾ [الزخرف: 77].
قال: " يمكث ألف سنة ثم يجيبهم: ﴿**إِنَّكُم مَّاكِثُونَ**﴾ [الزخرف: 77]"[3].

أخي الحبيب . . هل تحتمل مجاورة مالك؟! ومالك هو المسلَّط عليك من قبل المالك، مالك . . . إن زفر التهبت النار حريقًا لزفيره، وتوقدت مستعرة انصياعًا لوعيده، وكيف يرضى مالك على من غضب عليهم ربه، وكيف يرضى وقد فطره الله على شدة الغضب على المذنبين، وكيف يرضى وهو يتعبد الله بتوصيل العذاب إلى العاصين، مساكين أهل النار . . . استغاثوا بمن لا يرحمهم ولا يرثي لحالهم، ويلك أيها المستغيث بمالك . . . إن مالك إذا اشتدت سورة غضبه أحرق، وإذا أراد أن يُرضي ربه انتقم ممن عصى ربه.

---

(1) رسالة المسترشدين ص176 . الحارث المحاسبي . ط دار السلام.
(2) طبقات الصوفية ص 21 .
(3) السابق ص 82 .
(4) صفة النار فقرة رقم: 85 . الحافظ ابن أبي الدنيا . ط دار ابن حزم .

جولات نارية

قال رسول الله ﷺ :

« **يخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق؛ يقول: إني وُكِّلتُ بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصوِّرين**»[1] .

أخي. . أحقيقة هذا أم خيال؟! أوهم أم واقع؟! **أخي**. . هل تصدق رسول الله ﷺ؟!

أقصد هل بلغ يقينك مقامًا يجعل هذا المشهد ماثلاً أمام عينيك، أي رعب يبعثه سماع هذا الحديث في قلوبنا فكيف بنا إذا عشناه واقعًا يوم القيامة، ونحن نرى هذه الأصناف الثلاثة تُلتقط التقاط الحَبِّ إذا التقطه الطير، لكن الطير هنا ليس سوى نار تبصر وتسمع وتتكلم وتحرق!! وأهل النار يرون هذا بأم أعينهم ولا يدري أحد منهم على من سيأتي الدور، فإذا أتى الدور على أحدهم فالتهمته النار تحوَّل داخلها إلى خلق عجيب وكائن غريب بما يضاعف عذابه ويزيد شقاءه .

قال رسول الله ﷺ :

«**ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث**»[2] .

قال الإمام النووي [ت: 676]:

«هذا كله لكونه أبلغ في إيلامه، وكل هذا مقدور لله تعالى، يجب الإيمان به لإخبار الصادق به»[3] .

ويتغير في أهل النار كل شيء حتى الأنفاس كما قال رسول الله ﷺ :

«**لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون، وفيه رجل من أهل النار فتنفس فأصابهم نفسه؛ لاحترق المسجد ومن فيه**»[4] .

ولا عجب في هذا إذ أن ينبعث هذا النفس من جوف إنسان ثيابه النار وطعامه الزقوم وشرابه الحميم، نعم. . هذه أنفاس من ﴿**يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ⑲ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ**﴾ [الحج: 19، 20] .

---

(1) صحيح: رواه أحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه كما في ص ج ص رقم: 8501 .
(2) صحيح: رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه كما في صحيح مسلم رقم: 5090 .
(3) صحيح: رواه مسلم بشرح النووي 186/17 .
(4) صحيح: أورده الألباني في الصحيحة رقم: 2509 .

بل وتتغير حتى طريقة المشي فيكون المشي على الأوجه بدل المشي على الأقدام، مما جعل الصحابة أنفسهم يتعجبّون ويسألون، فعن **قتادة**: حدثنا **أنس بن مالك** رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا نبي الله!! كيف يُحشَر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: « **أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة** » (1).

قال **قتادة**: بلى وعزة ربنا.

والحكمة من هذا بيَّنها **ابن حجر** [ت: 822] فقال:

" والحكمة في حشر الكافر على وجهه أنه عوقب على عدم السجود لله في الدنيا بأن يسحب على وجهه في يوم القيامة؛ إظهاراً لهوانه بحيث صار وجهه مكان يده ورجله في التوقي عن المؤذيات " (2).

قد أعذر من أنذر

وقد سبق وأن نقل لنا رسول الله ﷺ ما رآه في النار لنرتدع، ولأنه الوحيد الذي رأى النار بعينه وعاينها بكل حواسه فقد كان الأقدر على وصف ما رأى، وقد بعثه الله في رحلة خاصة لهذا المقصد ليصنعه على عينه ويطهِّر بها قلبه، فكانت رحلة الإسراء والمعراج، وفيها قال رسول الله ﷺ:

«**رأيتُ ليلة أسري بي رجالاً تقرض شفاهم بمقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: الخطباء من أمتك، يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون**»(3).

قال **ابن القيم** [ت: 751]:

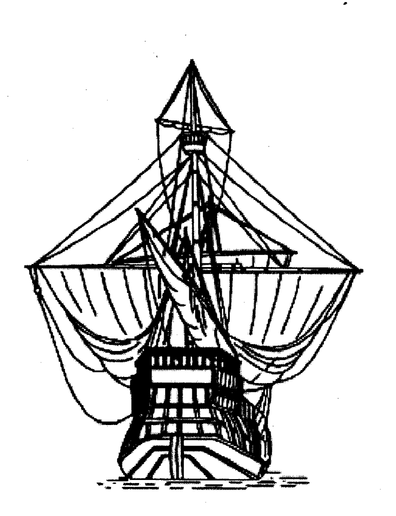
" علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعون إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: اعملوا، قالت أفعالهم للناس: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقًا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع طرق " (4).

---

(1) صحيح: رواه البخاري حديث رقم: 4482 ومسلم حديث رقم: 2806.
(2) فتح الباري 11/382-383.
(3) صحيح: رواه أحمد عن **أنس بن مالك** رضي الله عنه كما في السلسلة الصحيحة رقم: 291.
(4) الفوائد ص 61. ابن قيم الجوزية. ط دار الكتب العلمية.

بل رأى النبي ﷺ منظرا آخر في نفس الرحلة - وما أكثر ما رأى فيها - فقال رسول الله ﷺ:

«لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»[1] .



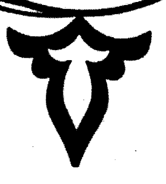
(1) صحيح: رواه أبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه كما في صحيح أبي داود رقم: 4082.

الفصل الخامس

طَرِيقُ الوُصُولِ إِلَى اليَقِين



كيف تصل
إلى اليقين؟ فإن الطريق طويل
لكنها مع الشوق تهون والزاد فيها هو العزم
والجد والاستغاثة والدعاء الطريق طويل لكنها
مع الشوق تهون ، صحبة الأعلى من يسرها الله عليه ،
والزاد فيها هو العزم والجد، والاستغاثة
والدعاء والخلوة والتدبر
وفي نهاية الطريق ينعم القلب في جنات
وارفة وأشجار يانعة وواحات غناء.



كيف تصل إلى اليقين؟!

قال **سهل بن عبد الله** [ت : 283] : " اليقين نار ، والإقرار باللسان فتيله ، والعمل زيته "(1).

أخي . . بدون زيت لا تضيء شعلة ، وبدون شعلة لا يضيء طريق ، وحينها يحل الظلام على القلب ، فيضل في دروب السواد الحالك ، ويسير في الطريق الخطأ ، ويمضي بعيدا عن طريق الجنة ، بل وناحية سقر ، إلا إذا قمت بوضع زيت العمل في مصباح القلب لتضمن استمرار الشعلة وتوقد الحماسة .

كيف الوصول إلى سعاد ودونها	**قلل الجبال ودونهن حتوف**
والرجل حافية ومالي مركب	**والكف صفر والطريق مخوف**

(1) التفكر :

أخذ التفكر في الآخرة وقتا طويلا عند أنقياء القلوب أصفياء النفوس لعلمهم أنه يوصل بصورة مباشرة وبطريق مختصرة إلى كنز اليقين المدفون تحت رمال الغفلة ؛ لذا قدَّم بعضهم التفكر على قيام الليل ، فعن **يوسف بن أسباط** [ت : 199] قال لي **سفيان** [ت : 161] بعد العشاء : ناولني المطهرة- الإناء الذي يتوضأ به- فناولته ، فأخذها بيمينه ووضع يساره على يده ، فبقي مفكرا ، ونمت ثم قمت وقت الفجر ، فإذا المطهرة في يده كما هي ، فقلت : هذا الفجر قد طلع ، فقال : " لم أزل منذ ناولتني المطهرة أتفكَّر في الساعة!! "(2).

وهذا التأمل يتناول الرحلة الأخروية بتفاصيلها وجميع مراحلها ، ولذا قال **عبد الله بن المبارك** [ت : 181] يوما **لسهل بن عدي** وقد رآه ساكتًا متفكرًا : أين بلغت؟ قال : الصراط!

ومما ساعد سلفنا في هذا التفكر ، وأورثهم به اليقين : النظر إلى أمور حياتية طبيعية ، وربط ذلك بالآخرة ، ومن هذا على سبيل المثال : التفكر في أمر النار ، فقد :

- كان **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه [ت : 32] يمر بالحدادين وقد أخرجوا حديدا من النار ، فيقف ينظر إليه ويبكي .
- و**عمر بن الخطاب** رضي الله عنه [ت : 23] ربما توقد له النار ثم يدني يده منها ويقول : يا ابن الخطاب هل لك على هذا صبر؟!.

---

(1) الحلية 203/10 .
(2) صفة الصفوة 148/3 -149 .

● وكان **الأحنف بن قيس** [ت : 62] يجيء إلى المصباح فيضع إصبعه فيه ثم يقول : حسً ويقول : يا أحنف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ؟! ما حملك على ما صنعت يوم كذا ؟! .

● و**أويس القرني** [ت : 37] يقف على الحدادين فينظر كيف ينفخون الكير ويسمعون صوت النار فيصرخ ثم يسقط .

● و**عطاء السلمي** [ت : 245] يلمح امرأة تسجر تنورها فيُغشى عليه .

(2) تدبر القرآن :

والتدبر هو معرفة دُبر الأمر أي عاقبته ، وهو هنا بمعنى الغوص في معاني الآيات حتى الوصول إلى مرادها ومقصودها وما تريده منا وما تتطلبه ، وبدون هذا يتحول القرآن إلى كتاب مطالعة أو نص أدبي كسائر النصوص البشرية .

وتدبر القرآن طريق سهل موصل إلى اليقين أرشدك إليه شامة الموقنين رسول الله ﷺ ، فقال : " **من سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة ، كأنه رأي عين فليقرأ : إذا الشمس كورت ، وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقت** "[1] .

واسمعوا كيف يكون حال القلب الموقن بآيات ربه المتدبر فيها ، وذلك في قصة **جبير بن مطعم** رضي الله عنه [ت : 59] التي رواها **البخاري** ، فعن **محمد بن جبير بن مطعم** عن أبيه قال : سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب (وَالطُّوْرِ) ، فلما بلغ هذه الآية ﴿**أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ**﴾ [الطور : 35-37] كاد قلبي يطير .

وهذه وسائل مساعدة تعينك على تدبر القرآن ، بل تضمن لك ذروته إذا سرت عليها ونفّذتَها :

● معرفة التفسير :

وكيف يتدبر الإنسان مواعظ ليس يفهمها ؟! وكيف ينفّذ أوامر لا يعرف معناها ؟! وكيف ينتهي عن نواهي يجهل مغزاها ؟! وهل القرآن إلا مواعظ وأوامر ونواهي ؟! وهو ما أثار **ابن جرير الطبري** [ت : 113] فأعرب قائلا :

" إني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذ بقراءته ؟! "[2] .

---

(1) صحيح : رواه أحمد و الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنه كما في ص ج ص رقم : 6293 .
(2)معجم الأدباء 63/18 .

• التأني :

ومما يعين على تدبر القرآن . . التأني في تلاوته وعدم الاستعجال . سئل **ابن عباس** رضي الله عنه [ت : 68] عن جهر النبي ﷺ بالقراءة بالليل فقال : " كان يقرأ في حجرته قراءة لو أراد حافظ أن يحفظها فعل "(1) .

ولما سئل **أنس بن مالك** رضي الله عنه [ت : 93] عن قراءة النبي ﷺ قال : " كان يمد صوته مدا "(2) .

ولذا مما ورد عن **الفضيل بن عياض** [ت : 187] ما يلي : (كانت قراءته حزينة شهية بطيئة مسترسلة كأنه يخاطب إنسانا ، وكان إذا مرَّ بآية فيها ذكر الجنة يردد فيها ويسأل)(3) .

• التغني بالقرآن :

ومما يعين على تدبر القرآن . . التغني وتحسين الصوت به . قال رسول الله ﷺ :

" **ليس منا من لم يتغن بالقرآن** "(4) .

وقال ﷺ :

" **أحسن الناس قراءة الذي إذا قرأ رأيتَ أنه يخشى الله** "(5) .

قال **ابن كثير** [ت : 774] : " المطلوب شرعا إنما هو تحسين بالصوت ؛ الباعث على تدبر القرآن وتفهمه ، والخشوع والخضوع ، والانقياد والطاعة "(6) .

ويُدلي بدلوه في بئر البركة القرآنية الإمام **ابن القيِّم** [ت : 751] ليُخرج لنا فوائد أنفع وأنوارا أسطع يهتدي بها الباحثون عن اليقين والطامحون لدخول الجنة فيَ زمرة المقربين ، فيقول نفعنا الله بما يقول :

" ولأن تزيينه وتحسين الصوت به والتطريب بقراءته أوقع في النفوس وأدعى إلى الاستماع والإصغاء إليه ، ففيه تنفيذ للفظه إلى الأسماع ومعانيه إلى القلوب ، وذلك عون

---

(1) مختصر قيام الليل للمروزي ص133 .
(2) صحيح : رواه ابن ماجة كما في صحيح ابن ماجة رقم : 1120 .
(3) نزهة الفضلاء 662/2 .
(4) صحيح : رواه أبو داود عن **سعد بن أبي وقاص** رضي الله عنه أو **سعيد بن أبي سعيد** رضي الله عنه كما في صحيح أبي داود رقم : 1305 .
(5) صحيح : رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة عن **ابن عباس** رضي الله عنه كما في ص ج ص رقم : 194 .
(6) فضائل القرآن ص125 .

على المقصود ، وهو بمنزلة الحلاوة التي تجعل في الدواء لتنفذه إلى موضع الداء ، وبمنزلة الأفاويه والطيب الذي يجعل في الطعام لتكون الطبيعة أدعى له قبولا ، وبمنزلة الطيب والتحلي وتجمل المرأة لبعلها ليكون أدعى إلى مقاصد النكاح .

قالوا : ولا بد للنفس من طرب واشتياق إلى الغناء ؛ فعُوِّضت عن طرب الغناء بطرب القرآن كما عُوِّضت عن كل محرم ومكروه بما هو خير لها منه ، وكما عُوِّضت عن الاستقسام بالأزلام بالاستخارة التي هي محض التوحيد والتوكل ، وعن السفاح بالنكاح ، وعن القمار بالمراهنة بالنصال وسباق الخيل ، وعن السماع الشيطاني بالسماع الرحماني القرآني ونظائره كثيرة جدا "[1].

• التخلي عن موانع الفهم :

قال ابن قدامة المقدسي [ت : 744] ناصحًا كل تال للقرآن :

" وليتخلَّ التالي عن موانع الفهم ، ومن ذلك : أن يكون مُصرًا على ذنب ، أو متصفًا بكبر ، أو مبتلى بهوى مطاع ، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصَدئه ، فالقلب مثل المرآة ، والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل جلاء المرآة "[3].

فكل متصف بصفة من هذه الصفات هو جان في صورة مشتك ، ومتهم في هيئة مدَّع ، وسجل أعماله يُدينه ، وصحيفة سيئاته تفضحه ، فكيف يطمعُ بعد هذه الجرائم في نَيل مكافأة فهم كلام الله وتدبر معانيه ؟! وهل يفتح خزائن كتابه لمن خالف كتابه؟! وهل يكشف أسراره إلا لمن اصطفاه واختاره؟!

وهذا ما قرَّره ابن عطاء [ت : 709] في إحدى حكمه حين قال :

" ربما وردت عليك الأنوار ؛ فوجدت القلب محشواً بصور الآثار ، فارتحلت من حيث نزلت " .

فانظر . . ماذا حشوت قلبك يا أخي ؟!

• تكرار بعض الآيات :

قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها والآية ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ

---

(1) زاد المعاد 463/1 .

(2) مختصر منهاج القاصدين ص 58 ، 59- ط . دار الدعوة .

﴿فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (1) [المائدة: 118].

قال الإمام النووي [ت: 676]: «وقد دأب جماعة من السلف يتلو الواحد منهم آية واحدة يتدبرونها ويرددونها إلى الصباح»(2).

• طريقة الترقي:

إن شكوت من أنك تقرأ ولا تتدبر، وتتلو ولا تتعظ، وتمل ولا تلتذ فقد سبقك إلى هذا سالم الخواص [ت: 291] الذي قصَّ حاله عليك في قوله:

"كنت أقرأ القرآن ولا أجد له حلاوة، فقلت لنفسي: اقرئيه كأنك سمعتيه من رسول الله ﷺ، فجاءت حلاوة قليلة، فقلت لنفسي: اقرئيه كأنك سمعتيه من جبريل عليه السلام حين يخبر به النبي ﷺ. قال: فازدادت الحلاوة، ثم قلت لها: اقرئيه كأنك سمعتيه حين تُكلِّم به. قال: فأتت الحلاوة كلها" (3).

(3) الدعاء:

قال رسول الله ﷺ: «**من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسدَّ فاقته، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل**»(4).

أخي الحبيب .. طرقت جميع الأبواب تلتمس فيها اليقين لكنك لم تسلك طريق الله بعد!! الله .. الذي قذف اليقين في قلوب الصالحين من قبلك، أليس بقادر على أن يقذف اليقين في قلبك، الله .. الجواد الكريم .. أفيبخل عليك أن يشملك بعطفه؟! الله .. الذي يقول للشيء كن فيكون؛ ألا يستطيع أن يقول لقلبك: أيقن فينغمر يقينًا ويفيض إيمانًا وينمحي عنه الشك؟!

ما أيسر أن ندعو الله عز وجل فنقول:

اللهم إنا نسألك يقينا لا يهتز، وإيمانا لا يرتد، ونسألك بصيرة تجعل الغيب عندنا شهادة، ونسألك مخافة النار كأننا نراها، ونسألك شوقاً إلى الجنة يعادل شوق من عاينها .. اللهم آمين.

---

(1) حسن: رواه ابن ماجه عن أبي ذر رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه رقم: 1118.

(2) التبيان في آداب حملة القرآن. ص 79. شرف الدين النووي. ط دار البشير. الأردن.

(3) الحلية 279/8.

(4) صحيح: رواه أبو داود والترمذي كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم: 831.

فإذا دعوت الله ولم تظهر في الأفق إجابة، ولم تُشرق شمس اليقين على قلبك، فلا تعترض عليه، بل اعترض على نفسك بسبب تقصيرك في دعائك وعدم استكمالك شروط إجابته من غفلة واستعجال وذنوب واتكال، ولو أديت ما عليك لرأيت ما تمنيت، وقد قالها ابن عطاء [ت: 709] من قبل:

«لا تطالب ربك بتأخر مطلبك، ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك».

(4) التوهم:

ومعناه أن يكون للإنسان جلسات يراجع فيها نفسه ويعيش في أجواء الآخرة، وينعزل عن الحياة الدنيا، ليعيش التفاصيل التي سوف يشهدها عاجلاً كان أم آجلاً.

من هؤلاء المتوهمين: **الحارث المحاسبي** الذي ألف كتابًا في هذا الشأن سمَّاه **(التوهم)** عرض فيه إلى حال الإنسان من الاحتضار إلى أن يصل إلى الجنة أو النار.

ومنهم **ضرار بن مرة** [ت: 132] الذي حفر قبره قبل موته بخمس عشر سنة فكان يأتيه فيختم فيه القرآن[1].

وكذلك ورد هذا عن الإمام القدوة العابد **الربيع بن خثيم** [ت: 65]، فترى فيم كان يفكر الربيع وضرار حين كانوا يرتدون الأكفان ويتوسدون التراب؟!

يخبرك عن هذا أخوهم في المجاهدة ورفيقهم في درب التوهم **إبراهيم التيمي** [ت: 110] فيقول:

«مثَّلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها، ثم مثَّلت نفسي في النار آكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي: أي شيء تريدين؟ قالت: أريد أن أردَّ إلى الدنيا فأعمل صالحًا. قال: قلت: فأنت في الأمنية فاعملي»[2].

هي وصية الصالحين على اختلاف العصور والأزمان سبق ونصحك بها **أبو الفرج ابن الجوزي** [ت: 597] فقال:

«مثِّل لنفسك صرعة الموت، وما قد عزمت أن تفعل حينئذ وقت الأسر، فافعله وقت الإطلاق»[3].

---

(1) صفة الصفوة 56/3.
(2) صفة الصفوة 44/3.
(3) المدهش ص 184.

وهي الطريقة التي انتهجها أبو عثمان المنتجب الواعظ في دعوة نور الدين محمود بن زنكي فنقلته من الظلمات إلى النور وأثّرت فيه أيما تأثير، وجعلته يقضي على المظالم في عهده، ويغلق حانات الخمور التي انتشرت، وذلك أن المنتجب أرسل إليه قصيدة صنعها خصيصًا من أجله جاء فيها:

مثِّل وقوفك أيها المغرور	يوم القيامة والسماء تمور
إن قيل نور الدين رحت مسلِّما	فاحذر بأن تبقى ومالك نور
أنهيت عن شرب الخمور وأنت من	كأس المظالم طافح مخمور
عطّلت كاسات المدام تعففًا	وعليك كاسات الحرام تدور
ماذا تقول إذا نُقلت إلى البلى	فردًا وجاءك منكر ونكير
وتعلقت فيك الخصوم وأنت في	يوم الحساب مسحَّب مجرور
وتفرقَت عنك الجنود وأنت في	ضيق اللحود موسَّد مقبور
ووددت أنك ما وليت ولاية	يومًا ولا قال الأنام: أمير
وبقيت بعد العز رهن حُفيرة	في عالم الموتى وأنت حقير
وحشرت عريانًا حزينًا باكيًا	قلقًا ومالك في الأنام مجير
أرضيت أن تحيا وقلبك دارس	عافي الخراب وجسمك المعمور
أرضيت أن يحظى سواك بقربه	أبدًا وأنت مُبَعَّد مهجور
مهِّد لنفسك حجة تنجو بها	يوم المعاد لعلك المعذور

قال راوي القصة وهو صاحب كتاب الروضتين:

«ولعل هذه الأبيات كانت من أقوى الأسباب المحركة إلى إبطال تلك المظالم، والخلاص من تلك المآثم، رضي الله عن الواعظ، والمتعظ بسببه، ووفَّق من رام الاقتداء به»[1].

(1) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية 55-57 - شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي. ط مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى. 1997.

(5) الخلوة:

قال ابن الجوزي [ت : 597] :

" الخلوة شرك لصيد المؤانسة، فأخفى الصيادين شخصية وأقلهم حركة؛ أكثرهم التقاطًا للصيد ما صاد هرًا صاح "[1].

ولذا مما جاء في القرآن في فضل قيام الليل : ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل :6].

قال ابن عباس رضي الله عنه [ت : 68] شارحًا :

" وقوله أقوم قيلا هو أجدر أن يفقه في القرآن "[2].

أحبتي.. راغبي البحث عن اليقين هاكم إياه، وجوف الليل هو الفرصة السانحة لاصطياد اليقين، حيث يقل الزحام، ويهدأ الضجيج، فتسنح الفرصة لشراء اليقين بأرخص الأثمان، جزاءً وفاقًا؛ لمن أتعب جسده، وتخلى عن راحته، وآثر رضا الله على هواه، فيكافئه الله بأن يسلِّمه البضاعة جاهزة: يقينا يقذفه الله في قلبه.

والخلوة وسيلة رائعة إلى اقتناص اليقين عن طريق خواطر الخير وصيد الأفكار الجيدة التى لا ترد في الزحام وبين الناس، كما حكى تجربته في ذلك الإمام أبو سليمان الخطابى [ت : 388] فقال :

إذا خلوتُ صفا ذهني وعارضني ... خواطرٌ كطراز البرق في الظُّلَم
وإن توالى صياح الناعقين على ... أذني عرتني منه لكنة العجم[3]

ولهذا جاءت كلمات ابن عطاء [ت : 709] قاطعة :

" ما نفع القلب مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة ".

(6) صحبة الموقنين:

إن صحبة الموقنين تُعدي، والهمُّ الأقوى يغيِّر الهم الأضعف ويصرعه، لذا يطرد يقين المؤمنين شك الضعفاء، ويملأ مكانه في القلب، ورسول الله ﷺ وصف صنفًا

(1) المدهش ص 523.
(2) حسن : رواه أبو داود وحسنه الألباني فى صحيح أبي داود رقم : 1156.
(3) الإمام الخطاب رائد شرَّاح البخاري ص25. ملحق مجلة الأزهر عن عدد ذي الحجة 1413هـ.



من الناس فقال: «**إن من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر**»(1).

وهل هناك خير من اليقين يدلك الصالحون عليه؟! وهو هناك شر من الظن والشكوك يحذِّرونك منه؟!

وعندما يتعرض المسلم لفتنة ويبتليه الله ليمحِّصه، يحتاج إلى من يقف بجواره ويذكِّره، فإنَّ وقع المحنة قد يذهب ببعض عقل المرء، إلا أن يُقيِّض الله رجلاً صالحًا قوي الإيمان ثابت اليقين يعظه ويثبِّته بكلمات مشحونة بالتذكير بالله ولقائه وجنته وناره.

وهاك أخي سيرة الإمام **أحمد بن حنبل** [ت: 241]، وهو على سعة علمه وقوة إيمانه ساق الله إليه من يثبِّته، ولقد سيق إلى الخليفة **المأمون** [ت: 228] مقيدًا بالأغلال، وقد توعده وعيدًا شديدًا قبل أن يصل إليه، حتى لقد قال خادم للإمام **أحمد**: «يعز عليَّ يا أبا عبد الله؛ أن المأمون قد سل سيفًا لم يسله قبل ذلك، وأنه يقسم بقرابته من رسول الله ﷺ، لئن لم تُجبِه إلى القول بخلق القرآن ليقتلنك بذلك السيف»(2).

ولاحت رايات الموت أمام الإمام وأحس بدنو الأجل، فجاءه من يربط الله به على قلبه من حيث لا يدري ولا يحتسب، واسمعوا منه ما قال في سياق رحلته إلى **المأمون**:

«صرنا إلى الرحبة منها في جوف الليل، فعرض لنا رجل، فقال: أيكم **أحمد بن حنبل**؟!، فقيل له: هذا، فقال للجمَّال: على رسلك.. ثم قال: يا هذا، ما عليك أن تُقتل ها هنا، وتدخل الجنة، ثم قال: أستودعك الله، ومضى، فسألت عنه، فقيل لي: هذا رجل من العرب من ربيعة يعمل الصوف في البادية يقال له: **جابر بن عامر** يُذكر بخير»(3).

وأعرابي آخر يملؤ اليقين قلبه حتى يفيض على الإمام **أحمد** حين يلقاه فيعاجله بجرعة يقين قائلاً:

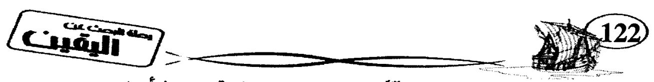
«يا هذا!! إنك وافد الناس فلا تكن شؤمًا عليهم، وإنك رأس الناس اليوم، فإياك أن تجيبهم إلى ما يدعونك إليه، فيجيبوا فتحمل أوزارهم يوم القيامة، وإن كنت تحب الله؛ فاصبر على ما أنت فيه، فإنه ما بينك وبين الجنة إلا أن تُقتل».

---

(1) حسن: رواه ابن ماجة عن أنس ﷺ مرفوعا رقم: 237 وابن أبي عاصم في كتاب السنة 127/1 وانظر السلسلة الصحيحة رقم: 1332.

(2) البداية والنهاية 332/1.

(3) سير أعلام النبلاء 241/11.



ولهذا جاءت وصية النبي ﷺ صارخة صارمة لا تحتمل التأويل : « **لا تصاحب إلا مؤمناً** » .

قال المناوي [ت : 1031] في فيض القدير :

«قوله : «**لا تصاحب إلا مؤمناً**» ، وكامل الإيمان أولى لأن الطباع سرَّاقة ، ومن ثم قيل : صحبة الأخيار تورث الخير ، وصحبة الأشرار تورث الشر ؛ كالريح إذا مرت على النتن حملت نتنًا ، وإذا مرّت على الطيب حملت طيبًا ، وقال **الشافعي** : ليس أحد إلا له محب ومبغض ، فإذن لابد من ذلك ، فليكن المرجع إلى أهل طاعة الله ، ومن ثم قيل : ولا يصحب الإنسان إلا نظيره ، والإخوان ثلاثة : أخ لآخرتك فلا نزاع فيه إلا الدين ، وأخ لدنياك فلا نزاع فيه إلا الخلق ، وأخ لتأنس به فلا نزاع فيه إلا السلامة من شره وخبثه وفتنته ، قال في الحكم : لا تصحب من لا يُنهضك حاله ، ولا يدلك على الله مقاله»[1] .

استيقظوا فأيقظوا

لما ملأ اليقين قلوب الصالحين فاض على من حولهم فانطلقوا يزرعونه في قلب كل من يروه ، ولهم في ذلك طرق شتى .

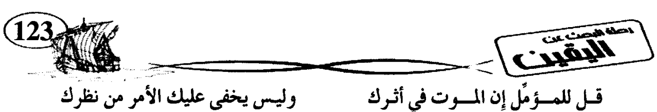
* كان **سالم بن عبد الله بن عمر** رضي الله عنه [ت : 106] لا يمر بقبر بليل ولا نهار إلا سلَّم عليه[2] ، ليُلقي في قلوب من سمعه اليقين بأن هؤلاء الأموات أحياء . . يحيون حياة من نوع آخر . . إما جنة وإما نار .

* ومرَّ **إبراهيم بن أدهم** [ت : 161] بمقبرة فتقدم إلى قبر فوضع يده عليه ، ثم قال : رحمك الله يا فلان ، ثم تقدَّم إلى آخر فقال مثل ذلك ، فعل ذلك بسبعة من القبور ، ثم قام قائما بين تلك القبور فنادى :

" يا فلان ، يا فلان بأعلى صوته . . لقد متُّم وخلَّفتمونا ، ونحن بكم سريعا لاحقون ، ثم بكى وغرق في فكره ، ثم رجع بعد ساعة فأقبل إلينا بوجهه ودموعه تنحدر كاللؤلؤ الرطب وقال : إخوتي عليكم بالمبادرة والجد والاجتهاد . . سارعوا وسابقوا ، فإن نعلا فقدت أختها سريعة اللحاق بها "[3] .

---

(2) فيض القدير 6/ 404 .
(3) حلية الأولياء 195/2 .
(3) صفة الصفوة 103/4 .



قـل للمـؤمِّل إن المـوت في أثـرك	**وليس يخفى عليك الأمر من نظرك**
فيما مضى لـك إن فكّـرتَ مُعتَبَر	**ومـن يمُـتْ كل يوم فهو من نُـذُرك**
تضـحى غداً سـمرا للذاكرين كما	**صار الذين مضوا بالأمس من سمرك**

لذلك قالها لنفسه **مالك بن دينار** [ت: 130] : " ويحك . . بادري قبل أن يأتيك الأمر "[1] مكرراً عظته هذه ستين مرة!! نعم ستين مرة ، ليردد بلسانه ما يوقظ به عقله ، وإذا أيقظ عقله خشع قلبه ، وإذا خشع قلبه وصل إلى اليقين حتما .

(7) نظرة الوداع:

إن زيارة المقابر وتشييع الجنائز وتغسيل الموتى من أعظم مورثات اليقين في القلب؛ لأن الغرق في لذات الدنيا يضيِّع أثر اليقين في القلب ويأخذ من رصيد الإيمان الفطري، ولا يحمي القلب من أثر اللذات الضار إلا ذكر الموت والرحيل، لذا كانت وصية الرسول ﷺ لنا: **«أكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت»**[2] .

أي قاطعها وهي كلمة مشتقة من هدم البناء، فشبَّه اللذات الفانية والشهوات العاجلة ثم زوالها ببناء مرتفع ينهدم تحت وقع صدمات متتالية، ثم أمر المُنهمك في بناء هذا الجدار بذكر وقوع الهدم حتى لا ينشغل بالبناء وينسى ما وراءه من الدمار .

فكلما وهن اليقين في قلبك زر قبراً، أو احمل نعشًا، أو احضر جنازة، أو اشهد غسل ميت، وكل ما ذكَّرك بحملك على الأعناق ورحلة الفراق فخضه على الفور، وإن جبال الشك وإن بدت ضخمة وسدَّت الأفق أمامك؛ فلن تثبت أمام نسمة رحيل تحملها ريح يقين إن هي أقبلت .

«نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنها تذكِّركم الموت»[3] .

لكن . . ما هي الذكرى التي أرادها منا رسول الله ﷺ؟ أهو الموقف الذى يمر على صاحبه كأي موقف ثم ينساه كأن لم يكن؟! أهي اليقظة التي تنقلب غفلة فور أن يغادر صاحبها المقبرة والعصيان وأنت على أعتابها؟! أم هي الذكرى التي تبقى، وتنفع بمقدار ما تبقى؟!! .

(1) قصر الأمل ص 106، 105 . أبو بكر بن أبي الدنيا . ط دار ابن حزم .
(2) صحيح: رواه الترمذي والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنه كما في ص ج ص حديث رقم: 1210 .
(3) صحيح: رواه الحاكم عن أنس رضي الله عنه كما في ص ج ص رقم: 6790 .

قال المناوي مبينًا أثر القبر على القلب وناصحًا لك بزيارة أسبوعية له مع إيجازه آداب الزيارة:

«ليس للقلوب سيما القاسية أنفع من زيارة القبور، فزيارتها وذكر الموت يردع عن المعاصي، ويلين القلب القاسي، ويذهب الفرح بالدنيا، ويهوِّن المصائب.

وزيارة القبور تبلغ فى دفع رين القلب واستحكام دواعي الذنب ما لا يبلغه غيرها، فإنه وإن كان مشاهدة المحتضر تزعج أكثر لكنه غير ممكن في كل وقت، وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه في كل أسبوع بخلاف الزيارة.

وللزيارة آداب منها أن يحضر قلبه، ولا يكون حظه التطوف على الأجداث فقط، فإنها حالة تشاركه فيها البهائم، بل يقصد بها وجه الله، وإصلاح فساد قلبه، ونفع الميت بما يتلوه من القرآن، ولا يمشي على قبر، ولا يقعد عليه، ويخلع نعله ويخاطبهم خطاب الحاضرين، فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين»[1].

المتابعة بعد الزيارة

ولكي تؤتي هذه الزيارة أكلها وتُحدث أثرها، فلابد من قياس العمل بعدها لاستنهاض الهمم للبذل عند انتهائها، وتحويل طاقة العلم إلى طاقة عمل، نعم.. كل منا يعلم أنه سيدركه هذا المصير، وسيموت كما مات أصحاب هذه القبور، وتُشَيَّع جنازته كما شُيِّعت جنازة إخوانه من قبل، لكن كم منا يوقن أن هذا حاصل عن قريب؟! وكم يحسب أن ذلك منه غير بعيد؟!

والجواب أن أقل القليل من يوقن بهذا ويُرى ذلك فى عمله، ولذا يُفسح غير الموقن لنفسه في المدة، ويمد لها في المهلة، ويقول بلسان الحال: لن أموت إلا بعد سنين أو عندما أشيب، وإن قال: قد أموت اليوم أو غدا، فقول لا يصدِّقه عمل، فلا يتحرك قيد أنملة، ولا تهتز منه شعرة، ولا يتغيَّر بمقدار ذرة، ولو رأى ألف جنازة لكان حاله قبل أن يراها كحاله بعد دفنها، بل وربما حدَّث بحديثه الدنيوى الذي كان يتحدث به والميت يُدفن تحت قدميه، وإن جاءه موقف ضحك ضَحك، وإن حضرته طرفة من لغو الحديث خاض، وكأنه في عرس لا في مأتم؟!

(1) فيض القدير 67/4.

متى تخلع ثوبك؟!

الموقن لا يرى الجسم غير ثوب يُخلع عند الموت كما تخلع الحية ثوبها، فهل رأيتم أحدًا يبكي على ثوب يُخلع؟! ومع ذلك يبكي أهل الجنازة على الجنازة تألمًا لفراق صاحبها أكثر مما يبكون على أنفسهم، ولو كانوا يعلمون علم اليقين لكان بكاؤهم على أنفسهم أشد وأبقى؛ لأن ميتهم قد عرف مصيره، وهم لا زالوا ينتظرون . . لايعلمون أين المستقر وفي أي المحلين السكن، لكن زيارة الأموات تجعل اليقين أعمق، وتُسمع الأحياء صوت الأموات اللذين لو أذن للصالح منهم أن ينشد لقال:

قل لإخوان رأوني ميِّتا	فبكوْني ورَثونْي حزنا
هل تظنون بأني ميْتكُمْ	ليس هذا المَيْتُ والله أنا
أنا في الصور وهذا جسدي	كان ثوبي وقميصي زمنا
أنا عُصفور وهذا جسدي	طِرْتُ عنه وبقى مرتهنا
أحمد الله الذى خلَّصني	وبني لي في المعالي سكنا
لا تظنوا الموت موتًا إنه	ليس إلا نقلة من ها هنا!!

(8) عمل الطاعات:

كل ما زاد فى إيمانك زاد في يقينك ولابد، لأن أعمال القلب واحدة، واليقين على القمة منها، واليقين يؤدي إلى توائمه كما مر بك سابقًا، فكل ما أدى بك إلى اليقين أدَّى إلى الصبر، والخشية، والخشوع، والإنابة، والرغبة، والرهبة، فكل هذه العبادات القلبية متداخلة، كتداخل الأوانى المستطرقة.

فكل ما من شأنه أن يُقَوِّي إيمانك من أي طاعة كانت، فهو بإذن الله يقوِّي يقينك.

لكن العبادات التي تورث اليقين النافع لابد أن يتوفر فيها ما يلي:

* الصدق وإخلاص النية لله، فكل مرائي بطاعته محروم من كنز اليقين غير مستحق له.

* حضور القلب فيها، ومعرفة الأسرار الباطنة، والمقاصد الثابتة لكل عبادة.

* عدم المنِّ والأذى بعدها؛ وإلا ضيَّع ثمرة مجهوده وخسر ما بذل.

* الدوام: فالدوام له أثر، أما إذا كنت كلما أطعت عصيت، أى كلما بنيت هدمت، وكلما زرعت قلعت، فكيف يعلو بناء يقينك؟! أو يثمر زرع إيمانك؟!

إن النفس إذا وجدت لذة العبادة، وأحست بأثر جرعات الدواء بدد فيها نور اليقين ظلام المادة، وأطفأ برد العفو نار الذنب، كالرضيع الذي يستغني عن اللبن بألوان الأطعمة المختلفة ليزهد بعدها في ثدى أمه.

والمعنى أنك كلما تناولت جرعة دواء زادت سرعة سيرك، وانتفض قلبك وكأنما نشط من عقال؛ ذلك أن المسافر إذا عاين البلد التي يريد دخولها أسرع واستحث دابته على السير بغير ما كانت عليه عند بدايات سفره والهدف عنه غائب، وكذلك القلب إذا ذاق حلاوة الإيمان ووجد أثر العافية صار أقوى عزمًا وأشد قوة لقربه من غايته وتلمح قلبه لأنوار ما سعى إليه[1].

ولهذا قال ثابت البناني:

«كابدتُ الصلاة عشرين سنة، وتنعَّمت بها عشرين سنة»[2].

وما هذا إلا ثمرة من ثمرات اليقين، حيث تلذذ العبد بما فتح الله به عليه من مشاهدة الأنوار التي قاده إليها طول الاستمرار.

(9) اجتناب الهوادم:

وهى المعاصي التى تهدم صرح اليقين وتضعف أثره في القلب، فأي وقوع في المعصية يخدش اليقين إلا أن يضمِّد الإنسان جرح إيمانه بتوبة، ويعالج ما ألمَّ به باستغفار مضاعف وبكاء متواصل، والوقوع في الذنب يكون إما لشهوة أو شبهة، وكلاهما مَرَدُّه ضعف اليقين، فأما الشهوة فلو أيقن الإنسان بعواقب الاستسلام لشهوته وثواب الصبر عنها وزوال لذتها ودوام مرارتها لما هوى فيها، وأما الشبهة فمردُّها أيضًا ضعف اليقين، والشيطان مع الضعفاء أقوى.

واسمعوا أثر الذنوب على القلوب من كلامه ﷺ: «**الإثم حوَّاز القلوب**»[3].

(1) من كتابي (وعادت الروح)- تحت الإعداد.
(2) حلية الأولياء 321/2.
(3) صحيح: السلسلة الصحيحة رقم: 2613.

و «حوّاز» بتشديد الواو، أي يحوز القلوب ويتملكها ويغلب عليها، حتى يمنع إشراقات اليقين من الدخول فضلاً عن أنوار الإيمان، وكيف يرجو العاصي بلوغ مقام أسمى كاليقين؛ وقد وقع في ما يخدش مقامًا أدنى منه وهو الإيمان؟!

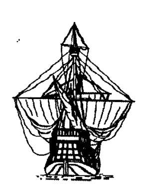
وورد الحديث بتشديد الزاي في رواية أخرى، فهي «حَوَّازٌ» بتشديد الزاي جمع حازٍّ، وهي الأمور التي تحزُّ فيها أي تؤثر فيها، لتغيِّر صفاء القلوب، وتكدِّر نقاءها، ومع توالي الذنوب وغارات إبليس المتتابعة؛ لا تبقى المعاني الإيمانية ثابتة راسخة في القلب بل مشوشة مهتزة مضطربة، وتضيع عند أول اختبار، ويُشكُّ فيها مع أول منعطف.

(10) الأمر والنهي:

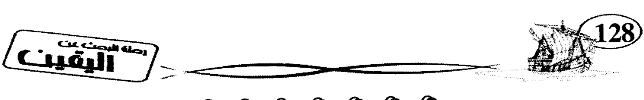
من تمام الإيمان بالشيء الدعوة إليه، والدعوة إلى أمر ترسِّخ مفهومه في العقل وأثره في القلب ودوامه في الجوارح، فعن **محمد بن النضر الحارثي** [ت: 150]: "أول العلم الإنصات، ثم الاستماع له، ثم حفظه، ثم العمل به، ثم بثه"[1].

لكن الترتيب هنا مهم، وبناء الطابق العاشر لا يتم إلا بعد بناء الدور الأول، وبالتالي فإن الخلل في الترتيب لا يوصل إلى اليقين المطلوب، بل قد يؤدي إلي عكس الغرض وهو نزع اليقين ومولد الشك بدلاً منه، وذلك حين يدعو المرء إلي عمل لا يعمل هو به ولا يواظب على ذلك، وعندها يعاقبه الله ليسقط في منتصف الطريق، ويتولي وينكص على عقبيه، وعياذًا بالله من ذلك.

إن حفظ حديث نبوي مثلاً وفهمه والعمل به ثم الدعوة إليه تجعله يسري في دم المرء ليطرد الشك ويورث اليقين، ولذا كان عمل المرء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يزيد الإيمان ويعمِّق اليقين، وبركاته وثمراته عجيبة.



(1) حلية الأولياء 217/8.



ثمرة العلوم العمل بالمعلوم

قال حفص بن حميد : سألت داود الطائى عن مسألة فقال داود : أليس المحارب إذا أراد أن يلقى الحرب . . أليس يُجمع له آلته؟ فإذا فنى عمره فى جمع الآلة فمتى يُحارب؟ إن العلم آلة العمل، فإذا فنى عمره فيه فمتى يعمل؟ ![1].

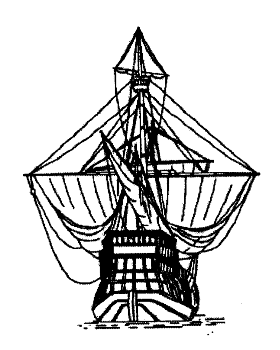
يا من قرأ هذا الكتاب ! ! هذا الكتاب من آثار رحمة الله، فأين آثار رحمة الله فى عملك وحالك؟ ! هذه أرض حرث آخرتك هامدة ما اهتزت بالأعمال الصالحة قبل القراءة فكيف بعد القراءة والغيث قد انهمر؟ ! أعدَّ ليوم الحساب صواب الجواب، وكن عبد الله بأفعالك كما صدعت بعبودية الأقوال .

هذا الكلام لا قيمة له إلا ليتحول إلى طاقة حركة، والسيف لا يقطع حتى يتحرك :

وما الصارم الهندى إلا كغيـــره   إذا لم يفارقه النجاد وغمــــدُهُ

اللهم.... اجعلنى أكثر الناس انتفاعًا بما كتبت، اللهم اجعلنى أكثرهم عملاً بما سطرت، اللهم اجعلنى أحرصهم على التداوى بما أرشدتهم إليه .

اللهم....علِّم بهذا الكلام جاهلاً، واهد به ضالاً، وثبِّت به عالماً، وسدد به رمياً، وارفع به قدراً، واغفر به ذنباً، وأزل به غماً، وَادفع به بلاءً، واقبله منى خالصاً لوجهك يا رب العالمين .



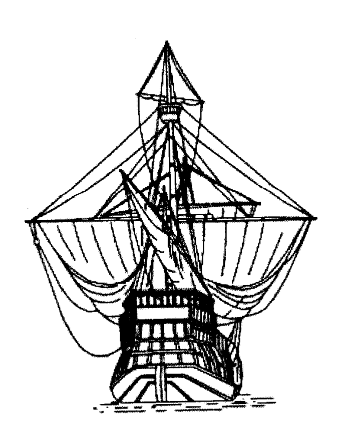
(1) حلية الأولياء 341/7 .

ردّدوا هذا النشيد

عن عنبسة بن الأزهر قال :

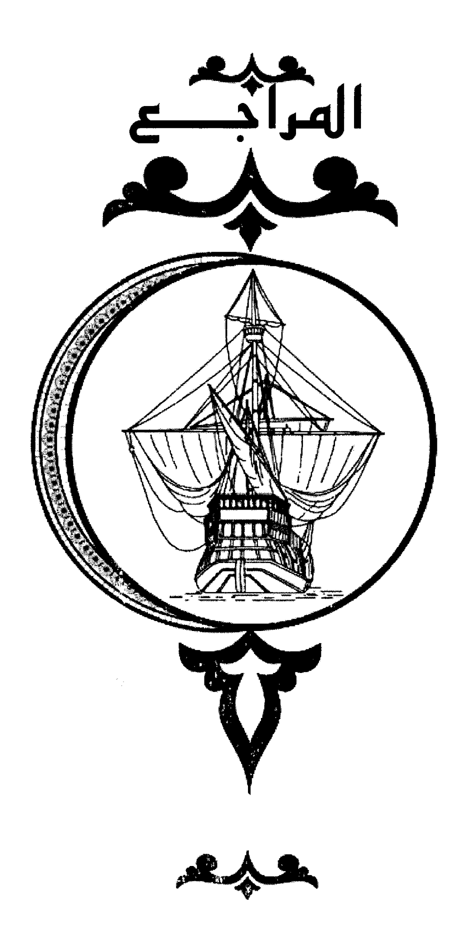
«كان محارب بن دثار قاضى أهل الكوفة قريب الجوار منى ، فربما سمعته فى بعض الليل يقول ويرفع صوته : أنا الصغير الذى ربيته فلك الحمد ، وأنا الضعيف الذى قوَّيته فلك الحمد ، وأنا الفقير الذى أغنيته فلك الحمد ، وأنا الصعلوك الذى موَّلته فلك الحمد ، وأنا الأعزب الذى زوَّجته فلك الحمد ، وأنا الساغب الذى أشبعته فلك الحمد ، وأنا العارى الذى كسوته فلك الحمد ، وأنا المسافر الذى صاحبته فلك الحمد ، وأنا الغائب الذى آويته فلك الحمد ، وأنا الراجل الذى حملته فلك الحمد ، ربنا ولك الحمد ربنا حمداً كثيراً على حمد»[1] .

وأنا ألهج بما لهج به أخى محارب وأردِّد ما قال اعترافاً بفضل ربِّى علىَّ خاصة فى إخراج هذا الكتاب ، واستشعارًا لضآلة شكرى بجوار نعمائه ، وإقرارًا بعظيم ذنبى وعظيم آلائه ، وأدعوكم فى الختام لتسلكوا نفس الطريق وترفعوا أصواتكم بكلمات هذا النشيد .



(1) شعب الإيمان 142/4 .

المراجع



القرآن وعلومه

- الجامع لأحكام القرآن — القرطبي
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن — الطبري
- التبيان في آداب حملة القرآن — النووي
- بصائر ذوي التمييز — الفيروزآبادي

السنة وشروحها

- صحيح ابن ماجة — الألباني
- صحيح الترغيب والترهيب — الألباني
- صحيح سنن الترمذي — الألباني
- صحيح الجامع الصغير — الألباني
- فتح الباري — ابن حجر العسقلاني
- شرح صحيح مسلم — النووي

التاريخ والسير

- حلية الأولياء — أبو نعيم الأصفهاني
- سير أعلام النبلاء — شمس الدين الذهبي
- البداية والنهاية — الحافظ ابن كثير
- حياة الصحابة — الكاندهلوي
- مناقب أحمد بن حنبل — ابن الجوزي
- أحداث صنعت التاريخ — محمود عبد الحليم

اللغة والأدب

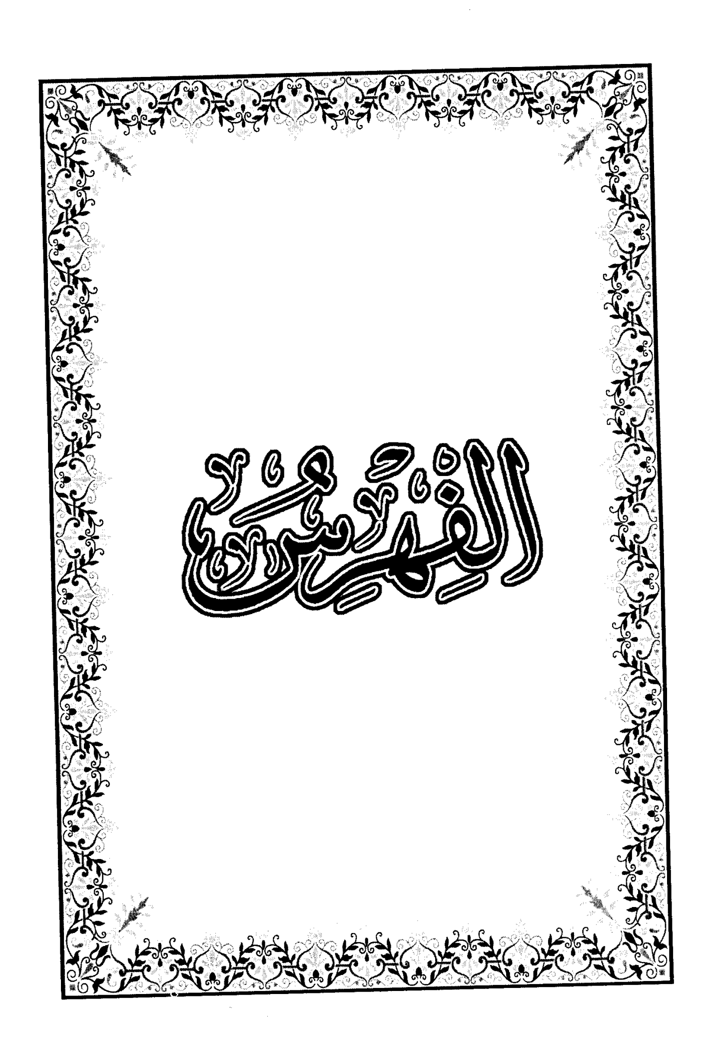
- البيان والتبيين — الجاحظ
- وحي القلم — مصطفى صادق الرافعي

- التعريفات — الجرجاني
- لسان العرب — ابن منظور
- كتاب العين — الخليل بن أحمد الفراهيدي
- غريب الحديث — ابن الجوزي

التزكية والرقائق

- الآداب الشرعية والمنح المرعية — ابن مفلح
- قوت القلوب — أبو طالب المكي
- مدارج السالكين — ابن قيم الجوزية
- تاريخ بغداد — الحافظ البغدادي
- المدهش — ابن الجوزي
- قصر الأمل — أبو بكر بن أبي الدنيا
- طبقات الصوفية — أبو عبد الرحمن السلمي
- نبوءات الرسول ﷺ — محمد الندوي
- الطب النبوي — شرف الدين النووي
- صفة الصفوة — ابن الجوزي
- الثبات عند الممات — ابن الجوزي
- لا تحزن — عائض القرني
- المكتوبات — سعيد النورسي
- العقد الفريد — ابن عبد ربه
- زاد المعاد — ابن قيم الجوزية
- تنبيه المغترين — الشعراني
- إتحاف السادة المتقين — الزبيدي
- الزهد — أحمد بن حنبل

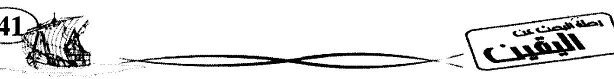
• منهاج العابدين	أبو حامد الغزالي
• التوكل	ابن أبي الدنيا
• قصر الأمل	ابن أبي الدنيا
• اليقين	ابن أبي الدنيا
• إحياء علوم الدين	أبو حامد الغزالي
• الرضا عن الله	ابن أبي الدنيا
• رسالة المسترشدين	الحارث المحاسبي
• صفة النار	الحافظ ابن أبي الدنيا
• الفوائد	ابن قيم الجوزية
• لطائف المعارف	ابن رجب الحنبلي
• مختصر منهاج القاصدين	ابن قدامة
• فصول إسلامية	علي الطنطاوي
• تدبر القرآن	سلمان بن عمر السنيدي
• فقه السيرة	محمد الغزالي
• حياة الصحابة	الكاندهلوي
• كنز العمال	الهندي
• المنطلق	محمد أحمد الراشد
• لا تحزن	عائض القرني
• المكتوبات	النورسي
• وعادت الروح	خالد أبو شادي
• الفجر القادم	خالد أبو شادي


الفهرس

الفهرس

الموضوع الصفحة




اليقين



صدر للمؤلف

أولاً: الكتب:

1
هبي يا ريح الإيمان
(كتاب + كتيبات متفرقة)

كتاب يحوى عشر نسمات تهدف إلى زيادة الرصيد الإيمانى ودعم الذاتية التعبدية.

2
سباق نحو الجنان

كتاب يتناول صفات القلوب المتسابقة نحو الآخرة، ورسوم الاشتراك فى هذا السباق، مع ذكر الواحات التى تأوى إليها هذه القلوب، والعقبات التى تعترضها، مع وصايا عشر تساعد على البدء فوراً فى السباق.

3
صفقات رابحة
(كتاب + كتيبات متفرقة)

عشر صفقات تعبِّر عن عشر عبادات متنوعة تتضمن كل صفقة منها: تسهيلات الصفقة - أى ما يعينك عليها -، وأرباحها وتشمل ثوابها وفضلها الذى يدفعك إليها، والشروط الجزائية وهى الخسارة المترتبة على عدم تنفيذها.

4
رحلة البحث عن اليقين

هو هذا الكتاب الذى بين يديك.

5
الفجر القادم

كتاب يبث الأمل فى القلوب ويبشِّر بحتمية الانتصار عن طريق إشاعة أربع خماسيات: خماسية الألم، وخماسية الأمل، وخماسية السُّنن، وخماسية العمل.

6

رحلة المشتاق...... العمرة

كتاب جديد فى موضوعه يحوى فوائد جمّة ومعانى غزيرة تكشف الأسرار الباطنة للعمرة.

7

رحلة المشتاق .. الحج والعمرة

كتاب يشمل أسرار العمرة إضافة إلى أسرار من الحج، وهو ضعف كتاب العمرة تقريبًا، وفيه قرابة ضعف فوائده.

8

أول مرة أصلى

رائعة من روائع ابن القيم الدفينة، هذَّبتها وبسَّطتها وشرحتها وأضفت إليها كثيرًا من المعانى، لتجعل بإذن الله لصلاتك طعمًا آخر ومذاقًا أروع، وستحسُّ أنك لم تكن تصلى قبلها، فشتان ما بين صلاتك قبل قراءة هذا الكتاب وصلاتك بعده، ومن هذا جاء اسمه، لأنها تجربتى الشخصية معه التى أردت أن أنقلها لك، ولا أحرمك منها مثقال ذرة، فأقبل على حياتك الجديدة فى ظل صلاتك اللذيذة الممتلئة بالمعانى الجليلة.

ثانيًا: الإصدارات الموسمية:

9

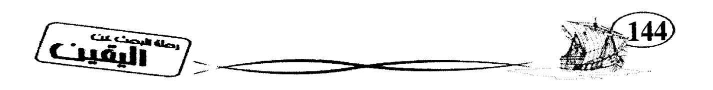
من الطارق

هو كتاب يتناول شهر رمضان كزائر عزيز، معه الهدايا الغاليات، والتى تتطلب منا رد الجميل من قيام ودعاء وقرآن.

10

سهام الخير .. عشر ذى الحجة

يحوى عشرة عبادات موزّعة على الأيام العشر مع التحدُّث عن فضائل هذه العبادات، مع تمهيد بفضل هذه الأيام، وضرورة اغتنام الأوقات فيها.



11

المهاجرون الجدد

دروس ثمانية من الهجرة من تمثَّلها نال أجر المهاجرين وإن لم يقطع الصحارى والقفار .

12

الاعتكاف .. تربية الأيام العشرة

يتحدَّث عن مقاصد الاعتكاف العشرة ، مع إبراز أفضل عبادات المعتكف ، والتعرُّض لسموم الاعتكاف أي محظوراته .

وقريبًا بإذن الله



موسوعة موضوعها أمراض القلوب، وتتناول قصة قلب أصيب بأمراض خطيرة أوشك معها على الهلاك، فأدخل العناية الإيمانية المركزة، وهناك امتنع عن آفات عديدة كانت سبب مرضه، ثم تلقى جرعات دواء مكثفة قارب معها على الشفاء، لكنه تعرض لانتكاسة مفاجئة أنقذ منها فى آخر لحظة، ثم واظب على العلاج حتى أتم الشفاء، وأنهى فترة النقاهة، ثم خرج بفضل الله أقوى وأفضل مما كان، يُداوى ويشفى بإذن الله غيره بعدما تداوى وشُفِى.

